أثر العمل الصالح في انفراج الشدائد

التوحيد

مجلة إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية ▪ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٩٤ - السنة الثانية والأربعون- صفر ١٤٣٤ هـ
الثمن جنيهان

استثمروا في تربية البنات

شجاعة القلب المعمور بالإيمان



وقفات شرعية مع الاستفتاء على الدستور

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

المتحولون الجدد

إن كان الله تعالى قد قال في كتابه لأهل الإيمان: «وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ» [البقرة: ١٩٠]، فإنه أمرهم في نفس الوقت برد الاعتداء عليهم فقال: «فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ» [البقرة: ١٩٤]، وعندها لن يكون رد الاعتداء مجرد مناوشات وأعمال شغب، وإنما سيكون تأديبًا وإيقافًا للمعتدي عند حده، وتليقنًا له العبرة من نفسه؛ لأن المعتدي على المسلمين بالطبع لا يريد إلا دنيا، فإن ضُيِّق عليه التمسها في زمان ومكان آخر، لكنَّ المسلمين يريدون بردِّ الاعتداء رضا الله والدار الآخرة، لا بديل لهم عنها ولا حولا.

لقد نعق المعتدون بما سموه الديمقراطية، فلما طُبقت عليهم مبادؤها رفضوها وكفروا بها؛ لمَّا لم تحقق لهم أطماعهم، فصارت الديمقراطية في ميزانهم كتمثال العجوة إن شبعوا عبدوه، وإن جاعوا أكلوه!!

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٤ - صفر ١٤٣٤

في هذا العدد

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي



ثمن النسخة
مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي
١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

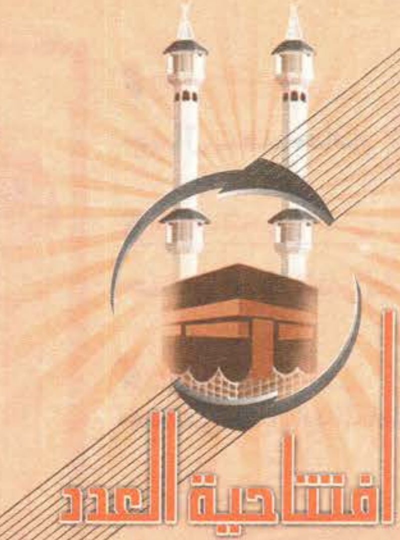
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة، حساب رقم ١٩١٥٩٠/.

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



إن الله هو الحكم

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فقد ذكرت في المقال السابق أن الحكم لله وحده، وأنه يجب اتباع شرعه وأمره، وذلك لأنه سبحانه وحده هو الخالق المنزه عما يصيب البشر من صفات العجز والضعف، الحكيم العليم الخبير الذي يعلم أحوال عباده وما يصلحهم ويقيم شأنهم، ومن تمام رحمته وعدله أن شرع لهم ما يحتكمون إليه، حتى في المخاصمات وشئون الحياة ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة، والعبد إذا كان مؤمنًا انشرح صدره ورضي بحكم ربه الذي لا محاباة فيه ولا خلل ولا قصور.

وقد تحدث الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عن صفات من يستحق أن يكون الحكم له، وطلب من كل عاقل أن يتأمل هذه الصفات، ويقابلها مع صفات البشر المشرّعين للقوانين الوضعية وينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع سبحانه؟

فإن انطبقت -ولن تكون - فليتبع تشريعهم، وإن ظهر أنهم أحقر وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية، وكلامه نفيس جدًا أذكر بعضه باختصار في هذا المقام.

صفات من له الحكم والتشريع:

قال رحمه الله: «من الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله سبحانه « وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ » [الشورى: ١٠]، ثم قال مبينًا صفات من له الحكم: «ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » [الشورى: ١٠- ١٢].

فهل في المشرعين للنظم الوضعية من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوّض إليه الأمور، ويُتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض، أي خالقهما ومخترعهما على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجًا، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: «ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ » [الأنعام: ١٤٣]، وأنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ » [الشورى: ١١]، وأنه «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» [الشورى: ١٢]، وأنه «يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ » أي: يضيقه على من يشاء «وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » [الحديد: ٣].

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرّع ويحرّم، ولا تقبلوا تشريعًا من كافر خسيس حقير جاهل، ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » [النساء: ٥٩]، فقوله فيها: «فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ » [النساء: ٥٩]، كقوله في هذه الآية «فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ » [الشورى: ١٠]، وقد عجب نبيه صلى الله عليه وسلم بعد قوله: «فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ» من الذين يدّعون الإيمان مع أنهم يريدون المحاكمة إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم، المعبر عنه في الآية بالطاغوت، وكل من

تحاكم إلى غير شرع الله فقد تحاكم إلى الطاغوت، وذلك في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» [النساء: ٦٠]، فالكفر بالطاغوت الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية شرط في الإيمان، كما بينه تعالى في قوله: «فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» [البقرة: ٢٥٦].

الحكم لله وحده:

فيُفهم منه أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يستمسك بها فهو متردٍ مع الهالكين، ومن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده، وأنه يجب الرجوع إلى تشريعه وأمره قوله تعالى: «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [القصص: ٧٠- ٧٣]. فهل في مشرّعي القوانين الوضعية من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة؛ لأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينا بذلك كمال قدرته وعظمة إنعامه على خلقه، سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته أو ملكه، ومن الآيات الدالة على ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» [الأنعام: ١١٤- ١١٥]، فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلاً، الذي يشهد أهل الكتاب أنه منزل من ربك الحق، وبأنه تمت كلماته صدقًا وعدلاً، أي صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وأنه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟ سبحانه ربنا ما أعظمه وما أجل شانه. [وللمزيد من البيان في هذا يراجع أضواء البيان ١٦٣/٧- ١٧٣].

ويستفاد من كل ما سبق أن كل من أطاع غير الله في تشريع مخالف لما شرعه الله، فقد أشرك به مع الله، واعتدى في ذلك على حق الله وحده الذي له الخلق والأمر سبحانه دون سواه، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بابًا في كتابه التوحيد بيّن فيه حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، وأن من فعل ذلك فقد اتخذ هؤلاء أربابًا، وذكر تحته قول ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو

من أطاع غير الله في تشريع يخالف شرع الله فقد أشرك به مع الله غيره، واعتدى في ذلك على حق الله وحده الذي له الخلق والأمر سبحانه دون سواه.

بكر وعمر»!! ثم ذكر تعجب الإمام أحمد من قوم وقفوا على الدليل، ثم يذهبون إلى آراء الرجال، والله يقول: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣]، ثم استدل بحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، وفيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ قول الله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ» [سورة التوبة: ٣١]، قال له: إنا لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويُحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتهم. [الترمذي ٣٠٩٥ وحسنه الألباني].

وقد توافر أهل العلم على شرح هذا الباب الذي عقده الشيخ في كتابه التوحيد، وبينوا المراد منه غاية البيان، ومن ذلك ما قاله الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «إنما يجب طاعة الأحبار والرهبان إذا أمروا بطاعة الله، فهي تبع لا استقلال، وأما إذا أمروا بمعصية الله فلا سمع لهم ولا طاعة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما هو معلوم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولما كانت هذه الطاعة من أنواع العبادة - بل هي العبادة - فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله، نبَّه المصنف بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الرب تعالى بها، وأنه لا يُطاع سواه إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله».

ثم نقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة ونصه: «هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وعكسه يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله

فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإنه لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في شرحه للباب: «ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذي له الحكم القدري والحكم الشرعي، والحكم الجزئي، وهو الذي يُؤله ويُعبَد وحده لا شريك له ويُطاع طاعة مطلقة، فلا يُعصى بحيث تكون الطاعات كل اتباعًا لطاعته، فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تبعًا لهذا، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله يتألههم ويتحاكم إليهم، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا هو الكفر بعينه، فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله، والواجب على كل أحد ألا يتخذ غير الله حكمًا، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبذلك يكون دين العبد كله لله، وتوحيده خالصًا لوجهه الله، وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه وكل الحقوق، فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد اتخذ ذلك ربًا، وقد تحاكم إلى الطاغوت.

التحليل والتحريم حق لله سبحانه وتعالى وحده:

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: «التحليل والتحريم حق لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد، فمن حلل أو حرّم من غير دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جعل نفسه شريكًا لله، ومن أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع، وهذا ما يسمى بشرك الطاعة، لأن العبادة معناها: طاعة الله سبحانه وتعالى بفعل أوامره وترك نواهيه، ومن ذلك مسألة التحليل والتحريم، فهي داخلة في العبادة بدليل قوله تعالى لما ذكر ما يفعله المشركون من استباحة ما حرمه الله من الميتة التي حرمها وهم يستحلونها ويقولون: هي أولى بالأكل من المذكاة؛ لأن المذكاة أنتم ذبحتموها، وأما الميتة فإن الله هو الذي ذبحها، وكانوا قد تلقوا هذه المقالة من المجوس، فأنزل الله تعالى: «فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ » [الأنعام: ١١٨] إلى قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » [الأنعام: ١٢١] مع الله في التحليل والتحريم.

> **التحليل والتحريم حق لله تعالى وشهادة ألا إله إلا الله تستلزم أن يكون العبد مطيعاً لله جل وعلا فيما أحل وحرّم ، ولا يُحكَّم في دينه ودنياه إلا شرع الله.**

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لهذا الباب: «هذا الباب والأبواب بعده في بيان مقتضيات التوحيد، ولوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي وتستلزم أن يكون العبد مطيعًا لله جل وعلا فيما أحل وحرم، فلا يتحاكم إلا إليه جل وعلا، ولا يُحَكَّم في الدين إلا شرع الله جل وعلا، والعلماء وظيفتهم تبيين معاني ما أنزل الله جل وعلا على رسوله صلى الله عليه وسلم، وليست وظيفتهم التي أذن لهم بها الشرع أن يحللوا ما يشاءون، أو يحرموا ما يشاءون، بل وظيفتهم الاجتهاد في فقه النصوص، وأن يبينوا ما أحل الله وما حرم الله، فهم أدوات ووسائل لفهم نصوص الكتاب والسنة، ولذلك كانت طاعتهم تبعًا لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما الطاعة الاستقلالية فليست إلا لله جل وعلا، حتى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي تبع لطاعة الله جل وعلا، فإن الله هو الذي أذن بطاعته، وهو الذي أمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى الشهادة له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال جل وعلا: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ » [النساء: ٨٠]، وقال جل وعلا: « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ » [النساء: ٦٤]، فالطاعة الاستقلالية نوع من أنواع العبادة، فيجب إفراد الله جل وعلا بها.

دعوة جماعة أنصار السنة إلى تحكيم الشريعة:

ومما أود التنويه عليه هنا أن جماعة أنصار

الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها، والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت».

وقد قال نحو هذا الكلام العلامة الأصولي الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله وهو الرئيس الثاني لجماعة أنصار السنة المحمدية، والشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله، وهو العلامة المحدث، وغيرهم من علماء الجماعة وأئمتها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أهمية التحاكم إلى شريعة الله وتعظيمها، وإن هذا من توحيد رب العالمين، إلى جانب أن الشريعة الإسلامية هي الصالحة والمصلحة للبشرية في كل زمان ومكان؛ لأنها من العليم الخبير سبحانه.

الشريعة الإسلامية هي الصالحة والمصلحة للبشرية في كل زمان ومكان:

وقد أحسن وأجاد الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في بيان مكانة الشريعة، وأنه شتان بينها وبين القوانين الوضعية، وفي ذلك يقول رحمه الله: «تعلم رعاك الله أن الشريعة جاءت بمطالب الروح والبدن جميعًا، وكفى بذلك فرقًا كبيرًا بينهما، إن القانون لا يطلب إلا حفظ النظام العام، ولا يعنيه إلا وحدة الأمة وراحة الحكومة، ولا يهمه شئون الأفراد الروحية، ولا من وظيفته صلاح قلوبهم، وتربية نفوسهم، ومراقبتهم في أخلاقهم، وأما الشريعة فقد تكفلت بإصلاح قلوب الأفراد كما تكفلت بإصلاح الأمم، بل يمكننا أن نقول: إن الشريعة أبلغ فيما يريده القانون أيضًا من منع الناس عن ارتكاب الجرائم والتعديات، فإن الإنسان لا يخاف القانون، ولا يرهب سلطان إلا إذا لم يكن وسيلة إلى الخلاص منه، وما أكثر وسائل الخلاص وأقل بواعث الإخلاص؟!

إن مزايا الشريعة لا تكاد تُحصى، فشتان ما بين قانون يضعه رجال لا يعنيهم إلا مظاهر الحياة المادية، وبين قانون يضعه خالق الكون المدبِّر لكل صغيرة وكبيرة، يكفل للناس سعادة الحياتين، تلك القوانين تبيح الزنا وشرب الخمر والتلهي بالميسر، وهي أمهات الشرور كلها، محافظة على مبدأ الحرية الشخصية، وما مثلها عندي إلا كمثل من يريد أن يشرب السم فلا تمنعه، محافظة على حريته فيما يريد، فهل تراك أحسنت إليه؟!».

أسأل الله أن يوفقنا إلى النزول على حكمه، والرضى بشريعته، إن ربي ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مزايا الشريعة لا تكاد تحصى ، شتان ما بين قانون يضعه رجال لا يعنيهم إلا مظاهر الحياة المادية ، وبين قانون يضعه خالق الكون المدبر لكل صغيرة وكبيرة فيه .

السنة المحمدية التي أسست أصالة للدفاع عن التوحيد والسنة، وإفراد الله بجميع أنواع العبودية، وضعت من ضمن أهدافها السعي إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، وأن كل مخالف لذلك منازع لله في حكمه، وقد ذكر الشيخ محمد حامد الفقي، مؤسس الجماعة في تحقيقه لكتاب فتح المجيد الشارح لكتاب التوحيد عند ذكره لقول الله تعالى: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٥٠]، وبعد ذكر كلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية قال: «ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصرَّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها».

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ» [النساء: ٥١] ما نصه: «الذي يُستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده من عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، سواء في ذلك الشيطان من الجن، والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله في إقامة



كيف الـ

الحمد لله كاشف الضرَّاء ورافعِ البَلوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الآخرة والأولى، وأشهد أن سيِّدنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ من تضرَّع إلى ربِّه ودعا، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى آله وأصحابِه أهلِ التقوى. أما بعد:

فيا أيها المُسلمون: أُوصِيكم ونفسي بتقوى الله -جل وعلا-؛ فهي سبيلُ الفلاح في الدنيا وفي الأُخرى.

أيها المسلمون: إن البشرَ على مُستوى مُجتمعهم وأفرادهم يمُرُّون في هذه الدنيا بأحوالٍ؛ منها حال البأساء والضرَّاء، حال المحَن والمتاعبِ والبلاء، وهكذا حالُ هذه الدنيا الفَانية الزائلَة، الدنيا التي تتنوَّعُ فيها الهُمومُ، وتَتلوَّنُ فيها الغُموم.

وإن المُسلمين اليوم يُعانُون من مضائِق لا نهاية لها، ويُقاسُون آلامًا لا حدَّ لها، وإلى الله المُشتكَى، وهو المُستعان، وعليه التُّكلان.

إن واقعَ المُسلمين اليومِ يمُرُّ بمراحل خطِرة، وأزمات مُتتابعة؛ فكم هي المِحن التي تقع؟! وكم هي الفتنُ التي تعصِفُ؟!

أسأل اللهَ أن يُفرِّجَ الكربةَ ويكشِفَ الغُمَّة، إنه هو وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

سبيل النجاة من المحن

إخوة الإسلام: إن المُتأمِّل في حال المُسلمين مع هذه الحالِ التي وصفْنا يجدُ عجبًا من الغفلة عن المنهج القُرآنيِّ الذي رسمَه للمُسلمين، وخطَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجًا واضحًا عند نزول الكُروب والشداد الخطوب. فالمُسلمون لا يُمكنُ بأي حال أن يجتازُوا محنةً أو أن يسلَموا من مُصيبةٍ إلا من مُنطلق مبادئَ قُرآنيَّةٍ وأصول نبويَّة.

المُسلمون لا تُحلُّ قضاياهم المُتعقِّدة، ولا يتخلَّصُون من مصائبِهم المُتعدِّدة بالتعلُّق بأي قوة بشريَّة مهما كانتَ بمَنأى عن المنهج القرآني والتَّوجِيه النبويِّ.

المسلمون أصحابُ رسالة وذوو عقيدة متينة تقوم على الإخلاص بالتعلُّق بالخالق -عز وجل-، والتقوِّي بالقادر على كل شيء -تبارك وتعالى-، والتوكل على القاهِر فوق عباده -جل وعلا-.

إن الأصلَ الأصيل والرُّكنَ الركينَ عند وقوع الكوارث ونزول المصائب أن يقطعَ المسلمون علائقهم إلا بالله -جل وعلا-، إخلاصًا وصدقًا، رغبًا ورهَبًا، تضرُّعًا ودُعاءً؛ فالأمةُ -حُكَّامًا ومحكومين، شعوبًا وأفرادًا- لا نجاةَ لهم من ضرَّاء، ولا مخلصَ لهم من شقاء إلا حينما يتيقنون بأن المخلصَ لا يُمكنُ إلا من الخالق -جل وعلا-، المدعُوِّ عند الشدائد، المرجُوِّ عند النوازِل، (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

إن المسلمين لم يستردُّوا أرضًا مُحتلَّة، ولم يتخلَّصُوا من عدوٍّ مُتغلِّب إلا حينما تستقرُّ في

نجاة من الواقع المر؟!

بقلم/ الشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ
إمام المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة

قلوبهم عقيدةٌ راسيةٌ رُسُوَّ الجبال، هي عقيدةُ التوحيد التي جاء بها محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-، التي تتضمَّنُ أن الضرَّ لا يكشفُه سوى الخالق، وأن البأساء لا يدفعُها إلا البارئُ القادرُ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

أخرج ابنُ أبي حاتم وغيرُه[وفي سنده ضعف] : أن مالك الأشجعيَّ جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: أُسِرَ ابني عوف، فقال له رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «أرسل إليه بأنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأمُرك أن تُكثِرَ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله». فأتاه الرسولُ، فأخبرَ عوفًا بذلك، فأكبَّ عوفٌ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكانوا -أي: الأعداء- قد شدُّوه بالقدِّ، فسقط القدُّ عنه فخرَج، فإذا هو بناقة لهم فركبَها فأقبَلَ، فإذا هو بسَرح القومِ الذين كانوا شدُّوه، فصاحَ بهم، فأتبعَ آخرَها أولها، فلم يفجع أبوَيْه إلا وهو يُنادي بالباب. فقال أبوه: عوفٌ وربِّ الكعبة. فقالت أمُّهُ: عوفٌ كئيبٌ يألمُ لما فيه من القدِّ. فاستبقَ الأبُ والخادمُ إليه فإذا عوفٌ قد ملأ الفناءَ إبلاً، فقصَّ على أبيه أمرَه وأمرَ الإبل، فأتى رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرَه بخبر عوفٍ وخبر الإبل. فقال له رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «اصنَعْ بها ما أحببتَ كما كنتَ صانعًا بإبلك». ثم نزل قوله -جل وعلا-: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فيا تُرى من يقف عند هذه القصة من أبناء المُسلمين عند الشدائد والكُروب؟!

ما لكم عن طوق النجاة غافلين؟!

يا أمة سيد الثَّقَلَيْن: ما لكم عن طوق النجاة غافلين؟! وعن سبيل الفرَج لاهين؟! أنيبُوا إلى العزيز الغالب عند حدوث الحادثات: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

تضرَّعوا إلى المولى -جل وعلا- عند نُزول المُلمَّات، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

بالدعاء الصادق، بالتوجُّه إلى الله -جل وعلا- تحصُل السَّعة بعد الضيق، والعافيةُ بعد البلاء، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

أفلا نستجيبُ إلى ربِّنا كما كان رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يفعلُ؟! ففي الحديث الصحيح: «اللهم رحمتَك أرجُو فلا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأصلِح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت». [أبو داود وحسنه الألباني].

فمن أحسنَ الظنَّ بربِّه مُلتجئًا إليه فرَّجَ عنه الكُرُبات، وأزاحَ عنه المُلمَّات، وسهَّلَ له الصعوبات. في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظُنَّ بي خيرًا» [متفق عليه].

وصدقَ من قال:

وإني لأرجُو اللهَ حتى كأنَّني
أرَى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانعُ

يا أمة الإسلام: يا من أحاطَت بها الكُرُبات من كل جانب! توجَّهُوا إلى الله وحدَه، وارجُوه -جل وعلا-، تُضرَّعوا إليه، اطلُبوه -عز وجل-، حقِّقُوا دُعاءَ المسألة ودُعاءَ الطلب بصدق وإخلاص ويقين تتحقَّقُ لكم عزَّتكم وأمنُكم وفلاحُكم وصلاحُكم، وإلا فمن رجَا غيرَ الله خابَ، ومن لاذَ بجناب غيره وُكِلَ إلى سراب، وواقعُ الأمة عبرَ تاريخها أكبرُ شاهد. قال -صلى الله عليه وسلم-: «من تعلَّق شيئًا وُكِلَ

إليه».

يقول أبو يزيد البسطاميُّ: «عشتُ مع الناس أربعين سنةً فوجدتُهم أمواتًا غيرَ أحياء وما يشعُرون أيَّان يُبعَثون، فكبَّرتُ عليهم أربعَ تكبيرات، ونفضتُ يدي منهم، وجدتهم لا يقطعون ولا يصلون، لا يُميتون ولا يُحيُون، لا يُقرِّبون ولا يُبعدون، لا يُعزُّون ولا يُذلون، لا ينفعون ولا يضرُّون». ثم قال متمثلًا:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجةً
وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحجَبُ
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سُؤالَهُ
وترى ابنَ آدم حين يُسألُ يغضبُ

فيا تُرى هل يكونُ واقعُ الأمة -حُكَّامًا ومحكومين- أن يُراجِعوا أنفسَهم وأن يُغيِّرُوا الحالَ عن الحال السابقة من التعلق بغير الله -جل وعلا- يمينًا ويسارًا، شرقًا وغربًا؟!

ليس لها من دون الله كاشفة

نعم، المُسلمون لا تنقشعُ عنهم مُلمَّةٌ إلا بالتضرُّع الصادق إلى العزيز القدير، لا تُكشَفُ عنهم غُمَّةٌ إلا إذا أطاعوا اللهَ مُخلصين، وانقطعوا إلى جنابه، فهو على كل شيءٍ قديرٌ.

جاء رجلٌ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: إلامَ تدعُو؟! قال: «أدعُو إلى الله وحده الذي إن مسَّك ضرٌّ فدعوتَه كشف عنك، والذي إن ضللتَ بأرض قفر فدعوتَه ردَّ عليك، والذي إن أصابَتك سنةٌ فدعوتَه أنبتَ لك».

وصدق من قال:

صبرًا جميلاً ما أقربَ الفرَجَ
من راقبَ اللهَ في الأمور نجا
من صدَّقَ اللهَ لم ينلْهُ أذى
ومن رجاهُ يكونُ حيثُ رجَا

أيها المسلم: إن أصابَك مرضٌ فالتجئ إلى الله الشافي الكافي، وإن أصابَتك فاقةٌ فتوجَّه إلى الله الغنيِّ الكافي.

عن عُبَيد بن أبي صالح قال: دخل عليَّ طاوسٌ يعُودُني، فقلتُ له: ادعُ اللهَ لي يا أبا عبد الرحمن. فقال: ادعُ لنفسك؛ فإنه يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه.

وقال وهبُ بن مُنبِّه: «قرأتُ في الكتاب الأول: أن اللهَ -جل وعلا- يقول: بعِزَّتي إنه من اعتصمَ بي فإن كادَته السماوات بمن فيهنَّ والأرضون بمن فيهنَّ فإني أجعلُ له من بين ذلك مخرَجًا، ومن لم يعتصِم بي فإني أخسِفُ به من تحت قدمَيْه الأرض، فأجعلُه في الهواء، فأكِلُه إلى نفسه».

يا شُعوبَ المُسلمين: إنكم تُعانُون وتُعانُون، فالتجؤوا إلى الله -جل وعلا-.

يا من يُعاني من المصائب: الجأ إلى الله بصدق وإخلاص. يا من أصابَته الضرَّاءُ: ابتهل إلى العزيز القهَّار: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ذكرَ الحافظ ابنُ عساكر عن رجل قال: «كنتُ أُكاري على بغلٍ لي من دمشق إلى بلد الزَّبَداني، فركِبَ معي ذاتَ مرةٍ رجلٌ، فمررنا على بعض الطريق غير مسلُوكة، فقال لي: خُذ في هذه فإنها أقرب، فقلتُ له: لا خِبرةَ لي فيها، فقال: بل هي أقربُ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعرٍ ووادٍ عميق وفيه قتلى كُثُر. فقال لي: أمسكْ رأسَ البغل حتى أنزل، فنزلَ وتشمَّر وجمعَ عليه ثيابَه، وسلَّ سكينًا معه وقصدَني، ففررتُ من بين يديه، وتبعَني فناشدتُه اللهَ وقلتُ: خُذ البغلَ بما عليه، فقال: هو لي، إنما أُريدُ قتلك. فخوَّفتُه اللهَ والعقوبةَ فلم يقبَل، فاستسلَمتُ بين يديه، وقلتُ: إن رأيتَ أن تترُكني حتى أُصلِّيَ ركعتين؟! فقال: عجِّل. فقمتُ أُصلي، فأُرتجَ عليَّ في القراءة فلم يحضرني منه حرفٌ واحدٌ، فبقيتُ واقفًا مُتحيِّرًا، وهو يقول: هيه ابرُك. فأجرى اللهُ على لساني قولَه -جل وعلا-: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

فإذا أنا بفارسٍ قد أقبلَ من فم الوادي وبيده حربةٌ، فرمَى بها الرَّجُلَ فما أخطأَت فؤادَه، فخرَّ صريعًا، فتعلَّقتُ بالفارس وقلتُ: بالله من أنت؟! فقال: أنا رسولُ الذي يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه ويكشفُ السُّوءَ. قال: فأخذتُ البغلَ والحملَ ورجعتُ سالمًا».

الثقة واليقين برب العالمين

أيها المسلمون: بالتوجُّه الصادق إلى الله -جلَّ وعلا- يحصُل الفرَجُ بعد الشدَّة، ويحُل اليُسرُ بعد العُسر، وإذا أوقدَت المكارِه، وأرسَت الخُطوب، وانقطعت الحِيَلُ بالأريب؛ أتى اللُّطفُ من اللطيف المُستجيب.

فافرَحوا -أيها المسلمون-، وتيقَّنوا بمُناجاة الله وبدُعائه، وتحقيق التوحيد الخالص، والعمل الصالح، والنيَّة الصادقة؛ تُفلحُ الأمةُ، وتقوَى شوكتُها، ويشتدُّ جانبُها، مهما أحاطَ بها من خُطوبٍ وكُروبٍ.

وكلُّ الحادثات وإن تناهَت

فموصولٌ بها فرَجٌ قريب

ولرُبَّ نازلة يضيقُ بها الفتَى

ذرعًا وعند الله منها المخرَجُ

ضاقَت فلما استحكمَت حلقاتها

فُرجَت وكنتُ أظنُّها لا تُفرَجُ

فيا أمة الإسلام، يا من أصابَهم الضرَّاء والبلواء: لا تقنَطوا من رحمة الله، لا تيأسُوا من روح الله، فمهما وقع بكم فاعلَموا أن لكم ربًا عظيمًا، وإلهًا قادرًا، كلَّ يوم هو في شأن، يُزيل الكُرُبات، ويُفرِّجُ المُلمَّات، حتّى عن المشركين إذا أخلَصوا، ألم يقل اللهُ -جل وعلا-: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فكيف بمن أسلَمَ! فكيف بمن أُوذِيَ وهو مؤمن وتوجَّهَ إلى الله سرًّا وجهرًا، شدَّةً ورخاءً؟! فالشأنُ الأعظمُ هو الإخلاصُ، والتوجُّهُ الصادقُ إليه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وما حصلَ من قريبٍ لكثير من المُسلمين خيرُ شاهد، واللهُ -جل وعلا- هو القادر على كل شيء.

يا مَن يُعاني من ظُلم الظالمين، وعُتوِّ الطغاة والجبَّارين: لا تيأسُوا من النصر؛ فالنصرُ عند الله للمؤمنين وعدٌ غيرُ مكذوب.

قصّة وعبرة

ذُكِر أن عجوزًا في عهد ابن الفُرات اعتدَى على بُستانٍ لها وأخذه ابنُ الفرات، فقالت له: اتَّقِ اللهَ فالدارُ داري، والله لأدعُونَّ عليك. فقال مُستهزِئًا: انتظري الثُّلثَ الأخيرَ. فانتظرَت الثُّلثَ الأخيرَ وهي تدعُو، فجاء الخليفةُ وغضِبَ وأخذَ ابنَ الفرات، وجلَدَه وقطعَ يدَه وعلَّقها عند باب الخلافة. ومرَّت عليه وإذا هو يُجلَدُ في الظَّهيرة، فقالت: جزاك اللهُ خيرًا على نصيحتك بثلث الليل الأخير، ثم قالت:

إذا جارَ الوزيرُ وكاتباه

وقاضِ الأرض أجحَفَ في القضاءِ

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ

لقاضي الأرض من قاضي السماءِ

وصدقَ من قال:

لطائف الله وإن طال المَدَى

كلَمحة الطَّرف إذا الطَّرفُ بدَا

وجوب الأخذ بالأسباب المشروعة

فيا أيها المسلمون: خُذوا من الأسباب المشروعة الحسِّيَّة والمعنويَّة ما يُفَرِّجُ الكَرب، ويُذهِبُ الهمَّ، وينصُر على الأعداء، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «عبادَ الله تداوَوا، لا تتداوَوا بحرام».

ولكنَّ الشأنَ كلَّ الشأن في تحقيق التقوَى والإنابة إلى المولَى، والتوكُّل على الباري -جل وعلا-، والتعرُّف عليه في الشدَّة والرخاء، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فمتى قوَت الأمةُ إيمانَها بالله -عزَّ شأنُه-، ووثَّقَت الصِّلةَ به -سبحانه- في كل شأن، في جميع الأمور صغيرها وكبيرها، وحسَّنَ ظنَّها بربِّها كشفَ عنها الضرَّاءَ، وأبدلَ شدَّتَها رخاءً، وهمَّها فرجًا، وعُسرَها يُسرًا.

يا أيتها الأمة: أين الله والقدَر؟! فقدرُكم أنكم مربوطون بالقرآن، مربوطون بسُنَّة سيد ولد عدنان، فما ابتعدتُم عنهما أصابَكم الذل، وأصابَتكم الكُروبُ والخُطوبُ مهما تعلَّقتُم بأيِّ قوَّة من قُوى البشر.

إن المؤمنَ متى استبطأَ الفَرَجَ وأيسَ منه بعد كثرة دُعائِه وتضرُّعه، ولم يظهَر عليه أثرُ الإجابة؛ فإن الواجبَ أن يرجِعَ على نفسه باللائمة، وأن يقول لها: إنما أُوتيتُ من قِبَلِك، ولو كان فيكِ خيرًا لأُجِبتِ من الله -جل وعلا-.

قال ابنُ رجب: «وهذا اللومُ حينئذ أحبُّ إلى الله من كثيرٍ من الطاعات؛ فإنه يُوجِبُ انكسارَ العبد لمولاه، واعترافَه له بأنه أهلٌ لما نزَل به من البلاء، وأنه ليس بأهلٍ لإجابة الدُّعاء، فلذلك تُسرعُ إليه حينئذٍ إجابة الدعاء، وتفريجُ الكُرَب؛ فإنه تعالى عند المُنكسِرة قلوبُهم من أجله، مُجيبًا سميعًا».

تعذَّرَ على جيش المُسلمين حين فتح كابُل الفتحَ، فدعا قائدُ الجيش: يا حيُّ يا قيُّوم -بصوت مُرتفع-، فارتجَّ الجيشُ بذلك صادقًا ومُخلصًا، داعيًا إلى الله سرًّا وجهرًا، ففتحَ على المُسلمين ما أرادوا، وأصبحَت بلادًا إسلاميَّةً بحمد الله.

ثم إن الله -جل وعلا- أمَرَنا بأمر عظيم، ألا وهو: الصلاةُ والسلامُ على النبي الكريم، اللهم صَلِّ وسلِّم وبارك وأنعِم على سيِّدنا ونبيِّنا محمد، اللهم ارضَ عن الصحابة أجمعين، وعن الآل ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

يعتذر السيد رئيس التحرير عن كتابة مقاله في هذا العدد لظروف ألمت به ، وسيواصل الكتابة في العدد القادم ان شاء الله

باب التفسير

تفسير سورة الزمر

الحلقة الخامسة

قال تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١) ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الزمر٢٣- ٣٥].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

أثر القرآن في قلوب المؤمنين:

ولما ذم اللهُ تعالى القاسية قلوبهم من ذكر الله، أتبعه بمدح الذكر، ومدح الذين تطمئن قلوبهم به، فقال تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»:

«اللهُ» الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم، هو الذي «نزل» على التدريج للتيسير، وللجواب عن الشبهات، وحل المشكلات، «أحْسن الحدِيثِ» وهو هذا القرآن الكريم:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أنزل الله القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا! فأنزل الله: «الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ» [يوسف: ١- ٣]، فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا! فأنزل الله تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا» الآية [الحاكم (٢/ ٣٤٥)، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي].

فمن أراد القصة فالقرآن يكفيه، ومن أراد الحديث فالقرآن يكفيه، ومن لم يكتفِ بالقرآن فلا كفاه الله.

وقوله تعالى: «كتابًا» بدل من «أحْسن الحديث» أو حال منه، «مُتشابِهًا» أي يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والبلاغة والقوة، قوة المباني والمعاني،

لا تفاوت فيه أصلًا في لفظ ولا معنى، مع كونه نزل مفرقًا في نيف وعشرين سنة، وهو دليل واضح على كونه من عند الله، «ولوْ كان منْ عندِ غيْرِ الله لوجدُوا فيه اخْتلافًا كثيرًا» [النساء].

وقوله تعالى: «مثاني» جمع مثنى، من التثنية، بمعنى التكرير، أي تثنى فيه القصص والمواعظ والأحكام والحكم، مختلفة البيان في وجوه من الحكم، متفاوتة الطرق في وضوح الدلالات، من غير اختلاف أصلًا في أصل المعنى، كالقصص والأخبار، والأوامر والنواهي، ومع التكرير لا تمله الآذان، ولا تنفر منه القلوب، وإنما «تقشعر منْهُ جُلُودُ الذين يخْشوْن ربهُمْ ثم تلينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إلى ذكْر الله»: تقشعر منه الجلود عند سماع آيات الوعيد، ثم تطمئن عند سماع آيات الوعد، ولذلك ترى الله عز وجل دائمًا يجمع بين الوعد والوعيد، ترغيبًا وترهيبًا، فهو يذكر صفات العزة والكبرياء التي توجب الخوف والحذر، ثم يذكر صفات الرأفة والرحمة التي توجب الرجاء والطمع، ويذكر ألوان العذاب، ثم يذكر ألوان النعيم. قال تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» [الحجر: ٤٩- ٥٠]. وقال تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا» [النبأ: ٢١- ٣٦]. وقال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ» [الحاقة: ١٩- ٣٧].

ومثل هذا كثير في القرآن الكريم.

ولما ذم اللهُ تعالى القاسية قلوبهم من ذكر الله، ومدح الذين تطمئن قلوبهم بذكره، بين سبحانه أنه هو الذي يهدي من يشاء، فقال: «ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ». فالله تعالى يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، كما قال تعالى: «مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الأنعام: ٣٩]، وقد بين ربنا سبحانه صفات الذين يضلهم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [البقرة: ٢٦- ٢٧].

أما قوله تعالى: «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فإن الله تعالى حكم على القاسية قلوبهم بحُكم في الدنيا وبحُكم في الآخرة، أما حكمهم في الدنيا فهو الضلالُ التام، كما قال: «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ». وأما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد، وهو المراد من قوله: «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وتقريره: أن أشرف الأعضاء هو الوجه؛ لأنه محل الحسن والصباحة، وهو أيضا صومعة الحواس، وإنما يتميز بعض الناس عن بعض بسبب الوجه، وأثر السعادة والشقاوة لا يظهر إلا في الوجه، كما قال تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ» [عبس: ٣٨- ٤٢]، فلما كان الوجه أشرف أعضاء الإنسان جرت العادة بأن الإنسان إذا رأى ما يخاف ضرره دفع بأعضائه عن وجهه، فإذا أُلْقِي الكافر الضال في النار يوم القيامة فاتقى النار بوجهه، دل ذلك على عجزه التام عن الدفاع عن وجهه، وعن غيرهِ من باب أولى، وذلك لأنه يُلْقى في النار مغلولةً يداه إلى عنقه. [التفسير الكبير(٢٦/ ٢٧٤و٢٧٥)] ولذلك قال الله تعالى: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ

«وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» [الأنبياء: ٣٨- ٤٠].

وجواب السؤال محذوف، تقديره: «أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كمن هو آمن يوم القيامة؟! كما قال تعالى: «أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [فصلت: ٤٠]؟!

«وقيل للظالمين» الذين تركوا الهدى، واتبعوا الهوى، فضلوا وأضلوا، «ذوقوا ما» أي جزاء ما «كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» أي تعدونه فائدة ومنفعة، وهذا من باب التهكم والسخرية، كما قال تعالى في وصف عذاب الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، ولم يؤدوا زكاته: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ» [التوبة: ٣٤- ٣٥].

وجوب الاعتبار بوحدة مصير المكذبين:

ولما ذكرهم بما أعد لهم من عذاب الآخرة وكانوا بها كافرين، لا جرم خوفهم من عذاب الدنيا، وأرشدهم إلى ما أصاب الذين من قبلهم، لعلهم يتقون، فقال تعالى: «كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»: «قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [التوبة: ٧٠]، «فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ»: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [العنكبوت: ٤٠] «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»، «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» [الحشر: ٢]، واحذروا «أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ» [هود: ٨٩- ٩٠].

الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن:

يخبر الله تعالى أنه ضرب للناس في هذا القرآن من جميع الأمثال: أمثال المؤمنين أتباع الحق، وأمثال الكافرين أتباع الباطل، وأمثال أهل التوحيد، وأمثال أهل الشرك، وأمثال أهل الخير، وأمثال أهل الشر، ومن كل مثل تتضح به الحقائق وتتقرر، «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» عندما تتجلى لهم الحقائق فيتركون الباطل، ويتبعون الحق. «قُرْآنًا» منصوب على الحال من اسم الإشارة المبين بالقرآن، «عَرَبِيًّا» نعت للقرآن، «غَيْرَ ذِي عِوَجٍ» أي ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته، كما قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا» [الكهف: ١- ٢]، «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» اللهَ تعالى، فيؤمنوا به وملائكته وكتبه ورسله، ويطيعون الله ورسوله.

وإنما قال الله تعالى في الآية السابقة: «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»، وقال في هذه: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» لأن التذكر متقدم على الاتقاء، لأنه إذا تذكره وعرفه، ووقف على فحواه، وأحاط بمعناه، حصل الاتقاء والاحتراز.

مثل الموحد والمشرك:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»:

فمثل المشرك كمثل عبد مملوك لأكثر من واحد،فهم شركاء فيه، وكل لهُ حق عليه، ثم إنهم مختلفون غير متفقين، وكل منهم يأمره وينهاه في وقت واحد، فلا يستطيع طاعتهم، وإذا كانت له حاجة عندهم لم يقضوها ولا واحدٌ منهم، بل يردهُ الأول إلى الثاني، ويرده الثاني إلى الثالث، وهكذا،فلا تقضى حوائجُه أبدا.

ومثل الموحد كمثل عبد مملوك لمالك واحد، هَيّن ليّن، سمح كريم، لا يكلف العبد فوق طاقته، ولاَ يبخل عليه إذا سأله.

فهل يستوي هذان العبدان؟! لا يستوون. وكذلك لا يستوي المشرك والموحد، فالمشرك مُوَزَّعُ القلب، مُشتَّتُ الشمل، بَيْنَ الآلهة التي اتخذها، وهي لا تُسمن ولا تُغني من جوع، ولا تجلب له نفعًا، ولا تدفع عنه ضرًا. وأما الموحد الذي يعبد الله وحده، فقد جمع الله شمله، فلا يلجأ إلا إليه، ولا يخشى غيره، ولا يرجو سواه، وهو سبحانه يقبل منه القليل من العمل، ويغفر له الكثير من الزلل، وإذا سأله أعطاه، وإذا دعاه أجابه.

«ضَرَبَ اللَّهُ» على هذا البيان، و«الْحَمْدُ لِلَّهِ» الذي جعلنا عبيدا له وحده، و «الْحَمْدُ لِلَّهِ» الذي جعلنا مسلمين. ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلا يؤمنون. «ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ» [غافر: ٧٠- ٧٦].

جزاء المشركين والموحدين:

لقد كانوا يتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم ريب المنون، ويقولون: إنه شاعر، سيموت كما مات مَنْ قبله مِنَ الشعراء، فقال الله تعالى لهم: إذا مات محمد، وهو ميت لا محالة، فلا شماتة، لأنه سيموت وستموتون أنتم أيضًا، «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» فلا شماتة إذن إذا مت، «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ» [الأنبياء: ٣٤- ٣٥].

«ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» فيما كنتم فيه تختلفون، المؤمنون والكافرون، والموحدون والمشركون، والمظلومون والظالمون، قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ» [الحج: ١٧].

عَنْ جُنْدَب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بقاتله يَوْمَ الْقِيَامَة فَيَقُولُ: سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ عَلَى مُلْك فُلَانٍ». قَالَ جُنْدَبٌ فَاتَّقِهَا. [سنن النسائي ٤٠٠٩ وصححه الألباني].

«فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّه وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ» أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فزعم أن له زوجة أو ولدًا أو شريكا، «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ» [الأنعام: ٩٣]، ولا أحد أظلم ممن كذب بالصدق الذي جاءه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ» [الرعد: ٥]، ولذلك قال: «أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ»: المثوى: المقام، وهو مشتق من: ثوى بالمكان، إذا أقام به.

«فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ» [غافر: ٧٦].

وعلى طريقة القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب، وجزاء المسيئين والمحسنين، والكافرين والمؤمنين، لما ذكر الله تعالى جزاء الظالمين المكذبين، أتبعه بذكر المؤمنين الصادقين، فقال تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»: «الَّذِي» اسم موصول للمفرد، والمراد به الجمع، وكثيرًا ما يجيء في القرآن، فالمراد كل من آمن بالله ودعا إلى الإيمان به، وأول من يدخل في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون، «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ». وهذه الآية مجملة، وقد فصّلها ربُّنا سبحانه في قوله: «لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ» [البقرة: ١٧٧].

«لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» مما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، «ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ»، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، «لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ»: وهذا من باب: «إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا» [النساء: ٣١]، ومن باب: «ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ» [النجم: ٣٢]، فالمتقون المحسنون، يغفر الله لهم زلاتهم، ويُكَفِّرُ عنهم سيئاتهم، «فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [الحجرات: ٨]، «إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٣٠].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

حراسة التوحيد وصيانة حماه

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فمنذ نشأتها الأولى على يد رعيلها الأول، وعبر تاريخها الطويل، وجماعة أنصار السنة المحمدية تحرص في المقام الأول على دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى؛ الذي هو أصل الدين وأساسه، وتحذر من الشرك وأخطاره وأضراره على سلامة المعتقد، ويأتي هذا المقال تأكيدًا لهذا الدور البنّاء، وحراسة لجناب التوحيد، وذلك بالتحذير من صور الشرك الأصغر في الأقوال والأفعال حتى يظل التوحيد منيع الجانب، مصون الحمى، فنقول مستعينين بالله تعالى:

تعريف الشرك الأصغر:

هو كل ما كان فيه نوع شرك، لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر، أو هو كل قول أو عمل بالقلب أو الجوارح جعل العبد فيه ندًا لله تعالى، ولم تصل هذه الندية إلى إخراج صاحبها من الملة.

وقد أطلق بعض العلماء الشرك الأصغر على جميع المعاصي؛ لأن فيها اتباعًا للهوى، وتقديمًا له على طاعة الله، مستدلين بقوله تعالى: «أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ» [الجاثية: ٢٣]. (الفتاوى: ٢١٦/١٠، معارج القبول ٢٤٢- ٤٣٣، القول المفيد ٦١/١].

وقد ذهب كثير من المفسرين وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الآية السابقة في المشرك الذي يعبد ما تهواه نفسه من معبودات، فما استحسن من شيء عبده. [تفسير الطبري، والقرطبي، والشوكاني، ومجموع الفتاوى ٥٣٢/١٠].

وعلى هذا فإن المعاصي لا يدخل منها في الشرك الأصغر إلا ما كان فيه نوع إشراك لمخلوق آخر.

حكمه:

أما حكم الشرك الأصغر فهو كما يلي:

١- إنه كبيرة من كبائر الذنوب، بل هو أكبر الذنوب بعد الشرك الأكبر، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما رأى في يد رجل حلقة من صفر: «ما هذه؟» قال: من الواهنة. قال: «انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا». [رواه أحمد وابن حبان وسنده حسن].

ويؤيده قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا».

فجعل الحلف بالله كاذبًا الذي هو من كبائر الذنوب أخفَّ من الحلف بغيره صادقًا؛ لأنه من الشرك الأصغر، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الشرك الأصغر لا يُغفر إذا مات العبد ولم يتب منه، مستدلين بعموم قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ» [النساء: ٤٨]، وأجيب عن هذا الاستدلال بأن الآيات التي تحدثت عن الشرك في كتاب الله تعالى والتي رتب فيها الحكم على وصف الشرك لم يختلف أهل العلم على أن المراد به الشرك الأكبر، كما في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ» [المائدة: ٧٢]، وقوله: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» [الزمر: ٦٥]. [مدارج السالكين ٣٠٨/١٢، ٣٦٨، قرة العيون ٢٤٦].

٢- أن هذا الشرك قد يعظم حتى يؤول بصاحبه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فصاحبه على خطر عظيم.

٣- أنه إذا صاحب العمل الصالح أبطل ثوابه، كما في الرياء وإرادة الإنسان الدنيا وحدها بعمله الصالح، يدلك على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

صور من الشرك الأصغر

للشرك الأصغر صور كثيرة، منها:

أولاً: الشرك الأصغر في العبادات القولية:

١- الحلف بغير الله: وهو توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله تعالى مُصدَّرًا بحرف من حروف القسم.

وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هي قول الرجل: والله، أو بالله، أو تالله، وقد حكى الإجماع على ذلك ابن المنذر، وابن حزم، وابن قدامة، وابن عبد البر، وأجمعوا على انعقاد اليمين إذا كانت باسم من أسماء الله تعالى التي لا يُسمى بها سواه، كـ «الله»، و«الرحمن»، كما ذكر ابن حجر رحمه الله على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته.

واختلفوا فيما عدا ذلك مثل قوله: «لعمر الله»، والمراد به: الحلف ببقاء الله تعالى وحياته، وقول: «بحق الله»، وقول: «عليّ يمين الله»، وقول: «عَلِمَ اللهُ»، وقول: «أيم الله»، وقيل: «ايم» عوض عن واو القسم، وقيل: إنها بمعنى «أحلف بالله»، كما اختلفوا في الحلف بفعل من أفعال الله.

اليمين عبادة:

واليمين عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، فيحرم الحلف بغيره تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، وإلا فليصمت» متفق عليه.

فمن حلف بغير الله سواء أكان نبيًا أم وليًا أم الكعبة أو غيرها فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ووقع في الشرك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر.

ولأن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، فمن حلف بغير الله كائنًا من كان فقد جعله شريكًا لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وهذا من الشرك الأصغر إن كان الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا غير، أما إن كان الحالف قد قصد بحلفه تعظيم المخلوق الذي حلف به كتعظيم الله تعالى، كما يفعله كثيرٌ من المتصوفة الذين يحلفون بالأولياء والمشايخ أحياء وأمواتًا، حتى ربما بلغ تعظيمهم في قلوبهم أنهم لا يحلفون بهم كاذبين مع أنه يحلفون بالله وهم كاذبون، فهذا شرك أكبرِ مُخرِج من الملة؛ لأن المحلوف به عندهم أجل وأعظم من الله تعالى.

قال الشيخ محمد خليل هراس - رحمه الله - في كتاب دعوة التوحيد (ص٥٥): إن الحلف بغير إنما نهي عنه؛ لأن في الحلف تعظيمًا للمحلوف به وهو لا ينبغي إلا لله، وفيه معنى إشهاد المحلوف به على صدق الحالف، وهذا لا يصح إلا بمن يعلم صدق المحلوف عليه أو كذبه، وهو الله تعالى، كما أن من يحلف به يجب أن يكون يملك عقاب من حلف به، والانتقام منه عند حلفه به كاذبًا، وهو الله تعالى دون سواه.

قال النووي في روضة الطالبين (٦/١١): قال الأصحاب - يعني الشافعية -: فلو اعتقد الحالف في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله تعالى؛ كفر.

٢- من الشرك الأصغر في الأقوال: التشريك بين الله تعالى وبين أحد من خلقه بـ(الواو):

العطف بالواو يقتضي مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولذلك فإنه يحرم العطف بها بين الله وبين أحد من خلقه في أي أمر من الأمور التي يكون للمخلوق فيها دخل في وقوعها كأن يقال: «ما شاء الله وشئت»، أو يقال: «هذا من بركات الله وبركاتك»، أو يقال: «ما لي إلا الله وأنت»، أو يقال: أرجو الله وأرجوك. ونحو ذلك، فمن تلفظ بهذه الألفاظ أو ما يشبهها فقد وقع في الشرك؛ لقوله تعالى: «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢٢]. قال ابن

عباس رضي الله عنهما: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا الديك لأتانا اللصوص، وقول الرجل: لولا الله وفلان فإن هذا كله به شرك». رواه ابن أبي حاتم بسند حسن.

وهذا يدل على أن هذه اللفظة وما يشبهها من الألفاظ التي فيها نسبة التأثير والتدبير لغير الله من الأشياء التي جعلها الله تعالى سببًا كقول بعضهم: «هذا الخير من عرق الجبين»، ولولا فلان لم يحصل كذا، ونحو ذلك مما ينهى عنه.

وقد بيّن ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين أن هذا من الشرك الأصغر، وكذا قال به ابن رجب في لطائف المعارف، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ» [يوسف: ١٠٦]. قيل: معناها: أنهم يدعون الله أن ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللصوص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب، وقد يقع في هذا القول كثير من عوام المسلمين.

وقد استثنى بعض أهل العلم من هذا الحكم: ما إذا أضاف النعمة إلى سبب صحيح ثابت على سبيل الإخبار لا غيرُ، مع اطمئنان القلب إلى أن المنعم الحقيقي هو الله تعالى، وأن هذا السبب إنما هو فضل الله وإنعامه فقالوا: بأن هذا جائز، ولهذا أدلة منها حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» [رواه البخاري: ٦٢٠٨].

سبّ الدهر:

٣- ومن صور الشرك الأصغر: سب الدهر: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار».

فالله هو الفاعل حقيقة، فمن سب الدهر فقد سب الله، وسب الدهر يكون من الشرك الأصغر في حق من سب الدهر وهو يعتقد عدم تأثيره، فالشرك من أجل اللفظ الذي فيه نوع تشريك بين الله وبين الدهر في الفعل والتأثير، أما إن كان السابّ للدهر يعتقد ما يعتقده أهل الجاهلية من تأثير الدهر وفعله من دون الله، كما قال الله عنهم: « وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» [الجاثية: ٢٤]، فهو شرك أكبر. [انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٣٧٨/١، وزاد المعاد ٣٥٥/٢، والشرك الأصغر ١٩٧].

٤- ومن الشرك الأصغر كذلك: التسمي بالأسماء التي فيها تعظيم لا يليق إلا بالله تعالى، كملك الملوك، وقاضي القضاة ونحوها، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه: رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله».

٥- التسمي بأسماء فيها تعبيد لغير الله تعالى كعبد الرسول وعبد النبي وعبد الحسين، ولهذا غيّر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء من أسلم من الصحابة، وكان اسمه معبدًا لغير الله تعالى.

مثال ذلك ما جاء في ترجمة سبرة بن أبي سبرة أَنَّ أَبَاهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:مَا وَلَدُكَ؟ فَقَالَ: عَبْدُ الْعُزَّى، وَسَبْرَةُ، وَالْحَارِثُ، قَالَ: لا تُسَمِّ عَبْدَ الْعُزَّى، وَسَمِّ عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ خَيْرَ الأَسْمَاءِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَالْحَارِثُ، وَهَمَّامٌ، وَدَعَا لِوَلَدِهِ، فَمَا زَالُوا فِي شَرَفٍ إِلَى الْيَوْمِ. رواه أحمد والحاكم.

وكذلك صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه غيّر اسم «عبد شمس» إلى عبد الله، وغيّر «عبد عمرو» إلى «عبد الرحمن» وغيّر «عبد كلال» إلى «عبد الرحمن» وغيّر «عبد عوف» إلى «عبد الله»، كل ذلك حماية لجناب التوحيد، وصيانة لحماه.

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

أثر العمل الصالح في انفراج الشدائد

إعداد/ أ. د. السيد عبد الحليم

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، وأدخلت بعضهم في بعض، والسند الآتي هو للبخاري رحمه الله تعالى، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه أبو داود بنحو هذا السند، فقال في آخره: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من استطاع منكم أن يكون مثل صاحب فرق الأرز فليكن مثله، قالوا: يا رسول الله، وما صاحب فَرَق الأرز؟».

قال: خرج ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون يرتادون لأهليهم، فغيمت السماء، وأصابهم المطر، حتى آواهم المبيت إلى غار في جبل، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم باب الغار، فانطبقت عليهم حتى ما يرون خصاصة، فعالجوها فلم يستطيعوها. فقال بعضهم لبعض: قد وقع الحجر، وعفا الأثر، ولا يعلم بمكانكم إلا الله عز وجل، لقد وقعتم في أمر عظيم، إنه والله لا ينجيكم إلا الصدق، إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فادعوا الله بأفضل عمل عملتموه؛ لعل الله يفرجها عنكم برحمته، وينجينا من هذا.

فقال أحدهم: اللهم (إنك تعلم) أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وامرأتي وصبية صغار، فكنت أخرج فأرعى عليهم ثم أجيء فأحلب، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي. فنأى بي طلب الشجر والكلأ يومًا، فأبطأت عنهما ليلة، فما أتيت حتى أمسيت، فجئت فوجدتهما نائمين، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رءوسهما وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، والصبية يتضاغون عند قدمي، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبَوَاي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما وأبدأ بالصبية قبلهما، فلبثت والقدح على يدي، ولم يزل ذلك دأبي ودأبهما، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة يرون منها السماء، ولا يستطيعون الخروج.

وقال الثاني: اللهم (إنك تعلم) أني كنت أحب امرأة من بنات عمي، كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين دينارًا على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت. حتى إذا قدرت عليها (وجلست منها مجلس الرجل من المرأة) قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، وارتعدت من تحتي. فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: أخاف الله رب العالمين، قلت: خِفْتِيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء، فتركتها وانصرفت عنها. وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فافرج لنا منها فرجة، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم (إنك تعلم) أني كنت استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، استأجرته بفرق من أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه، وأعطيته فرقه، فتركه ورغب عنه، وزعم أن أجره أكثر من أجور أصحابه، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، ولم أزل أزرعه حتى كثرت منه الأموال، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا ورعاتها، فجاءني بعد حين بعدما افتقر وكبر، فقال: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجري ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق من أجرك، فإنها لك، إنها من ذلك الفَرَق، اذهب فخذها، فقال: يا عبد الله، اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، ولكنه مالك فخذه، فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئًا وذهب به. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فافرج لنا ما بقي، ففرج الله عنهم، وانفرجت الصخرة وخرجوا من الغار يمشون».

مراحل التحدث عن الحديث:

والكلام على هذا الحديث الشريف يتخذ المراحل التالية الخمس:

أولاً: في صحته وثبوته.

ثانيًا: في تجلية أصحاب الغار وتحديد زمانهم الذي كانوا فيه وبيان موضع الغار الذي أووا إليه.

ثالثًا: في تفسير بعض ألفاظه الغريبة وبيان بعض معانيه المجملة.

رابعًا: في ذكر ما يستنبط منه أحكام وآداب.

خامسًا: في بيان ما في الحديث من عبر وعظات بالغات، والربط بين حياتنا وبين معطيات هذا الحديث الشريف وقبل عرض هذه المراحل أبين:

أولاً: في صحة الحديث وثبوته:

هذا الحديث الشريف رواه البخاري في خمسة مواضع من «صحيحه» رواه في كتاب البيوع في «باب إذا اشترى الرجل شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي»[ح٢٢١٥]، ورواه في كتاب الإجارة، في «باب من استأجر أجيرًا فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل»[ح٢٢٧٢]، ورواه في كتاب الحرث والمزارعة، في «باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم»،[ح٢٣٣٣] ورواه في كتاب أحاديث الأنبياء في «باب حديث الغار»،[ح٣٤٦٥] ورواه في كتاب الأدب، في «باب إجابة دعاء من بر والديه [ح٥٩٧٤] »، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [ح ٥٩٧٣] وغيره .

ورواه الإمام مسلم في «صحيحه» أيضًا رقم ٢٧٤٣، وهما الإمامان المشهوران المشهود لكتابيهما بالصحة العليا والمرتبة القصوى، وكذلك رواه أبو داود في «سننه» والإمام أحمد في «مسنده» (٥٩٧٣) كلاهما رواه بإسناد صحيح أيضًا.

وهذا الحديث جاء من ثمانية طرق أخرى عن ثمانية من الصحابة غير عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لكن البخاري ومسلمًا وأبا داود (٣٣٨٧) لم يخرجوه إلا من رواية ابن عمر فقط.

١- وقد أخرجه عن أنس الطبراني في الدعاء بإسناد صحيح، ومن وجه آخر بإسناد حسن.

٢- وأخرجه عن أبي هريرة الطبراني في الدعاء أيضًا بإسناد حسن وهو في «صحيح ابن حبان».

٣- وأخرجه عن النعمان بن بشير الإمام أحمد والبزار والطبراني بأسانيد حسان.

٤- وجاء عن علي بن أبي طالب.

٥- وعقبة بن عامر.

٦- وعبد الله بن عمرو بن العاص.

٧- وعن ابن أبي أوفى بأسانيد ضعاف.

٨- وعن ابن عباس أيضًا.

وقد استوعب طرقه أبو عوانة في «صحيحه»، والطبراني في الدعاء، فالحديث كامل الصحة والثبوت؛ لصحة إسناده وتعدد مخارجه، وهو عند بعض العلماء يُعد من الحديث المتواتر لكثرة طرقه التي جاء بها.

وقد جمعت بين روايات هؤلاء المحدثين، وأدخلت حديث بعضهم في بعض، لتكتمل الصورة في الحديث الشريف، وتتضح معانيه باكتمال جمله وألفاظه، وهذا أمر من الناحية الحديثية الاصطلاحية لا مانع منه، وخاصة أننا لسنا في مقام الرواية والإملاء، وإنما نحن في مقام الشرح والاستنباط والاستهداء.

ثانيا: في تسمية أصحاب الغار:

أما أسماء هؤلاء الثلاثة أصحاب الغار فلم يُوقف على اسم واحد منهم، وأما زمنهم الذي كانوا فيه فهو في زمن بني إسرائيل، ففي حديث عقبة بن عامر عند الطبراني في الدعاء: «أن ثلاثة نفر من بني إسرائيل» الحديث. أما موضع الغار الذي أووا إليه، فهو الرقيم الذي جاء ذكره في سورة الكهف في قوله تعالى: « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا » [الكهف: ٩]، وقد أخرج البزار والطبراني بإسناد حسن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم، قال: «انطلق ثلاثة نفر فكانوا في كهف، فوقع الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم»، فذكر الحديث. وقد مال البخاري رحمه الله تعالى إلى هذا في «صحيحه»، فأورد حديث أصحاب الغار الثلاثة بعد قصة أصحاب الكهف.

وقال القرطبي المفسر عند ذكر (أصحاب الرقيم) في تفسيره: «قيل: الرقيم أصحاب الغار الذي انطبق عليهم، وإليه نحا البخاري».

ثالثا: في تفسير الألفاظ الغريبة، وبيان بعض المعاني المجملة:

الفرق: جاء في الحديث لفظ (الفَرَق) وهو: مكيال يسع ثلاثة آصع من الأرز أو الحنطة أو نحوهما.

الخصاصة: وجاء في الحديث لفظ: «حتى ما يرون خصاصة»، الخصاصة هنا معناها: الفرجة الصغيرة يرى منها الضوء.

يتضاغون: وجاء في الحديث لفظ: «وأهلي وعيالي والصبية يتضاغون من الجوع» أي يتضورون ويتألمون ويصيحون من الجوع.

الغبوق: وجاء في الحديث لفظ: «فاستيقظا فشربا غبوقهما»، الغبوق: ما يُشرب في الليل، والصبوح: ما يشرب في النهار.

إن كنت تعلم: وجاء في الحديث لفظ: «اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك». فيه إشكال من حيث صيغة الشك المفاد من قوله: «إن كنت تعلم»، والمؤمن يعلم يقينًا أن الله يعلم ذلك، فكيف جاءت العبارة بأسلوب الشك؟ والجواب أن الشك هنا بالنظر إلى نية القائل وتحقيق إخلاصه، وليس الشك في علم الله المخاطب المحيط بكل شيء علمًا.

وجاء في الحديث لفظ: «قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه». ومعنى هذا الكلام أن هذه المرأة المؤمنة تقول للرجل الذي أرادها على الزنا والعصيان ودنا منها دنو الرجل من زوجته، تقول له: أنا لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح، فاتق الله فيَّ وابتعد عني، ناشدتك تقوى الله الذي يراني ويراك.

رابعا: في ذكر ما يُستنبط من الحديث من أحكام وآداب:

١- أسلوب التشويق والإهاجة إلى الانتباه والتيقظ في المتعلم والسامع، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم أن يكون مثل صاحب فَرَق الأرز فليكن مثله». فهاجهم صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب التشويقي إلى التوجه إلى السؤال، والمعرفة لصاحب فرق الأرز، فقالوا: «ومن صاحب فرق الأرز يا رسول الله؟» فحدثهم عنه وعن أخويه اللذين شاركاه في الاحتباس في الغار، وعما كان لكل واحد من الثلاثة من الأعمال الصالحة وهذا أسلوب تعليمي تربوي رفيع، أن يوقظ المعلم النشاط والتنبيه في المتعلم والسامع، ثم يلقي إليه العلم، فيكون أوعى ما يكون لما سمع وعلم، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سيد المعلمين والمربين كافة.

٢- وفي هذا الحديث أحكام البيوع: جواز عقد الفضولي، وهو الذي يبيع أو يشتري لغيره شيئًا بغير إذنه، ويكون إبرام العقد ونفاذه موقوفًا على إذن ذلك الغير، فإذا أذن به نفذ، وإن لم يأذن به بقي ذلك الشيء في ملك صاحبه، ودليل هذا من الحديث: أن الرجل أخذ فرق الأرز، حين تركه صاحبه ساخطًا له مستقلاً، فزرعه حتى نما وكثر وازداد زيادة عظيمة، فاشترى منه بقرًا، وإبلاً وغنمًا ورقيقًا، وحفظها كلها لصاحب فرق الأرز، فالرجل تصرف في مال الأجير بغير إذنه، ولكنه جمع ثمره له ونماه وأعطاه إياه، وجاء الأجير فأخذه ورضي به، فدل ذلك على جواز عقد الفضولي في مثل هذا ونحوه، وخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم ساقه مساق المدح والثناء على فاعله، وحكاه داعيًا إلى الإغراء بمشابهته، فقال صلى الله عليه وسلم: «من استطاع

منكم أن يكون مثل صاحب فرق الأرز فليكن مثله». وقد مال البخاري في هذه المسألة إلى الجواز كما يظهر من العنوان الذي وضعه للحديث في الموضع الأول، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة أيضًا.

٣- وفي هذا الحديث من أحكام البيوع أيضًا: أن من عمل بمال غيره من غير إذنه، فنما المال وازداد، فالزيادة والربح كله لصاحب المال، وعلى هذا المعنى عنون البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب من استأجر أجيرًا فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل»، أي أتى بالفضل والزيادة والأرباح، وهذه المسألة تعد من مسألة تصرف الفضولي التي سبق الكلام فيها. ومذهب البخاري أن المال الزائد النامي من مال الأجير إنما هو للأجير بكامله؛ لأن التصرف فيه تصرف لا على سبيل الإذن أو القرض، وإنما هو على سبيل الفضول وإرادة الخير، ودليل هذا في الحديث أن الأجير لما ترك أجره وانصرف، وعمل فيه المستأجر ونماه، ثم رجع إليه الأجير يطالبه بأجره الذي كان قدرًا يسيرًا، قال له المستأجر: كل ما ترى من أجرك، فأخذه كله ولم يترك منه شيئًا، وأقر الرسول الكريم هذا التصرف بحكاية دون إنكار أو تعديل واستدراك.

٤- وفي الحديث أيضًا: جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتآجرين، فإن المستأجر استعمل الأجير على فرق من الأرز، وكان ذلك أجرته.

٥- ومثل ذلك في هذا الحديث من أحكام المزارعة: أن من زرع بمال غيره المعين، بدون إذنه، وكان في ذلك صلاح لصاحب المال ونفع، فالنماء كله لصاحب المال؛ لأنه تولد من ماله، فإن المزارع هنا تصرف في أجرة العامل التي كان عيّنها له، وهي فرق الأرز، فزرعه فنماه الله وبارك فيه، ولم يعد هذا التصرف تعديًا؛ لأنه تصرف بطريق الإصلاح والنفع، لا بطريق التضييع والإساءة، ولذلك توسل بهذا العمل فاعله إلى الله عز وجل، وجعله من أفضل أعماله، وأقر على ذلك، ووقعت له الإجابة في ساعة العسرة.

٦- وفي الحديث من الأحكام - إضافة إلى ما تقدم -: استحباب الدعاء عند حدوث الكروب فإن أصحاب الغار توسلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فاستجاب لهم سبحانه.

٧- وفي الحديث أيضًا: التقرب إلى تعالى بذكر العمل الصالح، فإن كل واحد منهم ذكر العمل الصالح الذي رجا به الفرج من تلك الشدة.

٨- وفي الحديث أيضًا: فضل الإخلاص لله تعالى في العمل، فإنه كان مفتاح الفرج باستجابة دعائهم.

٩- وفي الحديث فضل بر الوالدين، وخدمتهما، وإيثارهما على الولد والأهل، وفضل تحمل المشقة لأجلهما، وفضل فعل ما يسرهما، وأن ذلك مدعاة الفرج للولد إذا وقع في شدة أو كرب.

١٠- وفي الحديث أيضًا: فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة عليه، وأن ذلك -وإن كان واجبًا- مجلبة للرحمة والإنفاذ من المهالك.

١١- وفي الحديث أيضًا: أن ترك المعصية طاعة لله: يمحو مقدمات طلبها، ويعد حسنة صالحة عند الله تعالى، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف: «ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة» رواه البخاري.

١٢- وفي الحديث أيضًا: أن التوبة تَجُبّ ما قبلها من الذنب، فلما تاب المراود للمرأة من مراودته وتركها، انقلب من عاصٍ أثيم، إلى طائع كريم يُستجاب له الدعاء.

١٣- وفي الحديث أيضًا: فضل أداء الأمانة، ولعل هذا كان أشق الأعمال الثلاثة التي قام بها أصحاب الغار وأصعبها، فإن الرجل الأجير لما غضب وترك أجره، كان أجره فرقًا من أرز يبلغ ثمنه نصف درهم، فنماه الرجل المستأجر حتى بلغ قطيعًا من البقر والغنم والجمال وجملة من الرقيق، وذلك إنما يتم في مدة سنين طوال، فبقي هذا الرجل المستأجر أمينًا عليه لم يطمع بكثرته ونمائه، ولم تحوله الأموال الكثيرة عن أمانته، ولا غيّرته السنون المتتالية عن استقامته، فلما جاء الأجير بعد حين وقد بلغ من الكبر عتيًا، وطحنه الفقر والعوز طحنًا، جاء راجيًا أن يأخذ أجره الذي يعدل نصف درهم يتبلغ به الرمق والعيش، ولكن المستأجر الأمين أعطاه أموالاً أدهشته، وما كاد عقله يصدق أنها له، فقال للرجل: لا تستهزئ بي، فأكد له المستأجر الأمين أنها كلها له، نماها من أجره وبارك الله له فيها وزادت وكثرت وتنوعت حتى صارت إبلاً وبقرًا وغنمًا ورقيقًا، فاستاقها كلها وما كاد يصدق ذلك.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

القسم الثاني

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة الخامسة

إعداد/ علي حشيش

٥٦- «إِذَا أَعطيْتُمْ الزَّكاةَ فَلا تَنْسوا ثَوَابَها، أَنْ تَقُولُوا: اللَّهُم اجْعَلْهَا مَغْنَمًا وَلاَ تَجْعَلْها مَغْرمًا».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٧٩٧) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه البختري يروي عن أبيه الموضوعات، والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن. كذا في «الميزان» (١/٢٩٩/١١٣٣).

٥٧- «كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لاَ يعودُ مريضًا إلاّ بَعْدَ ثَلاثٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٤٣٧) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه سلمة بن علي الخشني، قال فيه النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٧٠): متروك.

٥٨- «لاَ تُبْرِزْ فَخْذَكَ، وَلاَ تَنْظُرْ إلى فَخْذِ حَيٍّ، وَلاَ مَيتٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٤٦١) عن عليٍّ مرفوعًا، وكذلك أبو داود في «السنن» (٣١٤٠)، وعلته السقط في الإسناد.

٥٩- «لِيُغَسِّلْ مَوْتَاكُمْ المَأْمُونُونَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٤٦١) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وفيه بقية بن الوليد مدلس وقد عنعن، ومُبشر بن عُبيد حمصيّ، قال أحمد: كان يضع الحديث. كذا نقله عنه الذهبي في «الميزان» (٣/٤٣٣/٧٠٥٢).

٦٠- «السَّاكِتُ عَن الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرسٌ».

الحديث لا أصل له صحيح ولا ضعيف عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُوجد في أثر عن الصحابة أو التابعين.

٦١- الحَديثُ في المَسْجِدِ يَأْكُلُ الْحَسَنات كَمَا تَأْكُلُ البَهَائِمُ الحَشيش.

الحديث: لا أصل له، أورده الغزالي في «الإحياء» (١/١٣٦)، وقال الحافظ العراقي في «المغني» (٤١٠): لم أقف له على أصل، وقال السبكي في «طبقات الشافعية» (٣/٤٧٨): لم أجد له إسنادًا.

٦٢- «اعْمَلْ لِدُنيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيش أبدًا، وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غدًا».

الحديث: لا أصل له مرفوعًا، لكن رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١٢٢/٢) موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

٦٣- «إِذَا طَنَّت أُذُنُ أحدكمْ فَلْيَذْكُرْني، وَلْيُصَلّ عليّ، وليصل ذكر اللهِ بخيرِ مَنْ ذَكَرَني».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٢١/١) (ح٩٥٨)، وفي «الأوسط» (ح٩٢٢٢)، وفي «الصغير» (١١٠٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٦١/٤) من حديث أبي رافع مرفوعًا، وفيه عبيد الله بن أبي رافع، قال البخاري: منكر الحديث.

٦٤- «اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمْعةِ وَلَو كَأْسًا بِدينارٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٩/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفي إسناده إبراهيم بن البراء ساقط لا يُحتج به.

٦٥- «أَنَا جَدُّ كُلُّ تقيّ».

الحديث لا أصل له: سُئل عنه الحافظ السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوى» (٨٩/٢) فقال: لا أعرفه.

٦٦- «صِنْفَانِ مِنْ أُمتي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ: الأُمراءُ والفُقهاءُ». وفي رواية: الأمراء والعلماء.

الحديث : لا يصح أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٦/٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٨٤/١) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه محمد بن زياد اليشكري، قال أحمد: كذاب أعور؛ يضع الحديث، وقال ابن معين: كذاب، كذا نقله الذهبي في «الميزان» (٧٥٤٧/٥٥٢/٣).

٦٧- «اتَّقُوا مَواضع التّهم».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣١/٣)، وقال الحافظ العراقي في «المغني»: «لم أجد له أصلاً».

ملاحظة: قد يكون معنى بعض هذه الأحاديث صحيحاً وموافقاً لمقاصد الشريعة لكن ضعفه من حيث ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن يقول أحدنا: الزنا حرام ، فهو موافق للشرع لكن لم يثبت هذا اللفظ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم.

باب التراجم

الخليفة الراشد: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو أحد الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، وهو واحد من أبرز أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، من أجل ذلك أحببت أن أذكر إخواني الكرام بشيء موجز عن سيرته المباركة. فأقول وبالله التوفيق:

الاسم والنسب:

هو: عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رباح بن عبد الله بن كَعب بن لؤي.

يلتقي عمر بن الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده كَعب بن لؤي.

كنية عمر: أبو حفص.

ميلاد عمر:

كان مَولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٠١)

زوجات عمر وأولاده:

تزوج عُمر رضي الله عنه ست زوجات، ورزقه الله من الأولاد ثلاثة عشر: من الذكور تسعة، ومن الإناث أربعاً. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٠١)

عَدَدُ أحاديث عمر:

رَوَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس مئة وسبعة وثلاثين حديثاً. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-١٧٤)

منزلة عمر في الجاهلية:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سفيراً لأهل مكة، فإذا وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً، أو نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافراً ومفاخراً. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-١١)

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلام عمر:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ! أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ بن هشام أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٠٧).

عَنْ عَائِشَةَ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٨٥).

إسلام عمر:

قال شُرَيح بن عُبيد: قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أي أريد أن أصيبه ببعض الأذى) قبل أن أُسْلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن. قال: فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ (إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) (الحاقة ٤٠: ٤١).

قال: قلت: كاهن، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (الحاقة٤٦:٤٢). قال عمر: فوقع الإسلام في قلبي. (صفة الصفوة لابن الجوزي ج-١ ص-٢٦٨: ٢٦٩).

أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذي الحجة من العام السادس من النبوة، وكان عمره ستاً وعشرين سنة، بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٠٤).

هجرة عمر إلى المدينة:

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: أول من قَدِمَ علينا من المهاجرين مصعب بن عُمير، ثم عبد الله بن أم مكتوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص- ١٠٨).

فضائل عمر بن الخطاب:

١- عن أبي هريرة قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذْ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. (البخاري حديث ٣٦٨٠).

٢- عن ابن عمر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ يَعْنِي اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ، فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ الْعِلْمَ. (البخاري حديث ٣٦٨١).

٣- عن سعد بن أبي وقاص أن النبي قال: إِيهاً(عجباً) يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ (طريقك). (البخاري حديث ٣٦٨٣).

٤- عن أنس بن مالك قال: صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِه قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ. (البخاري حديث ٣٦٨٦).

٥- عن أبي هريرة أن رسول الله قال: لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ. (البخاري حديث٣٦٨٩).

٦- عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ قالوا فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينَ. (البخاري حديث ٣٦٩١).

موافقات عمر للقرآن الكريم:

١- عن عمر بن الخطاب قال: وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْضَ نِسَائِهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ إِنْ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا مِنْكُنَّ حَتَّى أَتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ، قَالَتْ يَا عُمَرُ أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا يَعِظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ) (التحريم:٥) (البخاري حديث ٤٠٢)

٢- عن عمر بن الخطاب قَالَ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ. (مسلم حديث ٢٣٩٩)

كرامات عمر بن الخطاب:

١- عن ابن عمر قال: وَجَّه عمر جيشاً، ورأس عليهم رجلاً يُدعَى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل (ثلاثاً)، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزِمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي: يا سارية الجبل (ثلاثاً)، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله، قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم. قال ابن حجر العسقلاني (إسناده حسن). (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١١٧)

٢- قال الحسن البصري: إن كان أحد يعرف الكذب إذا حُدِّث به، فهو عمر بن الخطاب. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١١٩).

هَيْبة عمر بن الخطاب:

١- قال عُمَرُ بنُ مُرَّة: لقي رجلٌ من قريش عُمَرَ، فقال: لِنْ لنا: فقد ملأت قلوبنا مهابة، فقال: أفي ذلك ظلم؟ قال: لا. قال عمر: فزادني الله في صدوركم مهابة. (مناقب عمر ص- ١٣٥).

٢- قال عبد الله بن عباس: مكثت سنة، وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة منه. (مناقب عمر لابن الجوزي ص- ١٣٥).

خلافة عمر بن الخطاب:

تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق يوم الثلاثاء، الثاني والعشرون، من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٢٢).

أول كلام عمر في خلافته:

عن شداد قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد

المنبر أن قال: اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، بخيل فسخني. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٠٨).

كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلمن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٣٠).

ولاة عمر بن الخطاب:

قال عامر الشعبي: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب ماله. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ص-٢٣٣).

- عن عمر أنه قال: أيما عامل لي ظلم أحداً، فبلغتني مظلمته، فلم أغيرها، فأنا ظلمته. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٣٢).

- قال عمر: من استعمل رجلاً لمودة، أو لقرابة، لا يستعمله إلا لذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. (مناقب عمر لابن الجوزي ص- ٧٨).

زهد عمر في خلافته:

١- قال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة.

٢- قال قتادة: أبطأ عمر على الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال إنما حبسني غَسْل ثوبي هذا، كان يُغسل، ولم يكن لي ثوب غيره. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٥١).

٣- قال سفيان بن عُيينة: كان عمر يشتهي الشيء لعله يكون بثمن درهم، فيؤخره سنة. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-١٤٦).

أقوال عمر في الزهد والرقائق:

١- حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، أهون عليكم في الحسَاب غداً، أن تحاسبوا نفوسكم اليوم، وتَزينوا للعرض الأكبر.

٢- عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم بذكر الناس فإنه داء.

٣ - من عَرَّض نفسه للتهمة، فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره، كانت الخيرة في يده، وضع أمر أخيك على أحسنه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، وما كافأت به من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، فكثر في اكتسابهم، فإنهم زَينٌ في الرخاء، وعُدَّةٌ عند عظيم البلاء، ولا تهاون في الحلف، فيهتك الله ستَرك.

٤- تعلَموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تُعلمون، وتواضعوا لمن تعلَمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم.

٥- كونوا أوعية للكتاب، وينابيع للعلم، وسَلوا الله رزق يوم بيوم، وعُدُّوا أنفسكم في الموتى، ولا يَضرُكم أن لا يكثر لكم (أي المال). (مناقب عمر لابن الجوزي ص- ١٧٨: ١٨٦).

اهتمام عمر بن الخطاب برعيته

١- قال ثعلبة بن أبي مالك: قسَّم عمر مروطاً (ثياباً) بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، قال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين، أعط هذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، فقال: أم سُلَيْط أحق به، فإنها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تحمل للناس القرب يوم أحد. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-٦٧).

٢- قال الأوزاعي: خرج عمر بن الخطاب في سواد الليل، فرآه طلحة بن عُبيد الله، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، وإذا بعجوز عمياء مُقعَدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويُخرج عَني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع!! (حلية الأولياء لأبي نعيم ج-١ ص-٤٨ /مناقب عمر لابن الجوزي ص-٦٨).

اتق الله يا عمر:

قال الحسن البصري: كان بين عمر بن الخطاب، وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتق الله يا أمير المؤمنين، فقال له رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خيرَ فينا إذا لم نقبلها منكم. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-١٥٥).

عفة عمر ورعيته:

قال أبو بكر بن عياش: جيء بتاج كسرى إلى عمر بن الخطاب فقال: إن الذين أدوا هذا لأمناء، فقال له علي بن أبي طالب: إن القوم رأوك عففت، فعفوا، ولو رتعت لرتعوا. (مناقب عمر لابن الجوزي ص-١٦٣).

× فرض عمر لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم، فقال عبد الله بن عمر: يا أمير المؤمنين فرضت لي ثلاثة آلاف درهم، وفرضت لأسامة أربعة آلاف درهم، وقد شهدت ما لم يشهد؟ فقال عمر: زدته لأنه كان أَحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وكان أبوه أَحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج-٣ ص-٢٢٥: ٢٢٦).

عفو عمر بن الخطاب:

روى البخاريُّ عن ابْنَ عَبَّاس قَالَ: قَدمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حصْن بْن حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَىَ ابْن أَخيه الْحُرّ بْن قَيْس، وَكَانَ منْ النَّفر الَّذينَ يُدْنيهمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالس عُمَرَ وَمُشَاوَرَته كُهُولا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْن أَخيه: يَا ابْنَ أَخي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عنْدَ هَذَا الأَمير، فَاسْتَأْذنْ لي عَلَيْه. قَالَ: سَأَسْتَأْذنُ لَكَ عَلَيْه، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لعُيَيْنَةَ، فَأَذنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْه قَالَ: هيْ يَا ابْنَ الْخَطَّاب، فَوَاللَّه مَا تُعْطينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بالْعَدْل، فَغَضبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقعَ به، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَميرَ الْمُؤْمنينَ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم (خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْف وَأَعْرضْ عَنْ الْجَاهلينَ) وَإنَّ هَذَا منْ الْجَاهلينَ. وَاللَّه مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حينَ تَلاهَا عَلَيْه، وَكَانَ وَقَّافًا عنْدَ كتَاب اللَّه. (البخاري حديث ٧٢٨٦).

اتساع الدولة الإسلامية في عهد عمر:

كانت الفتوحات الإسلامية كثيرة في عهد عمر بن الخطاب؛ ففتح الله عليه، دمشق وحمص، وبعلبك والبصرة، والأردن وطبرية والكوفة، والأهواز والمدائن، وتكريت وبيت المقدس، وحَلَب وأنطاكية، والموصل ومصر، وبلاد المغرب، وتستر ونهاوند، وأذربيجان والدينور وهمذان، والرَّي، وعسكر، وقوس وكرمان وسجستان وأصبهان ونواحيها. (تاريخ الخلفاء ص- ١٢٣: ١٢٤).

استشهاد عمر بن الخطاب:

قال الزُّهْريُّ: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة، يذكر غلاماً له عنده جُملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد، نقاش، نجار، فاستأذن له أن يرسله إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج، فقال عمر له: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث ليالي ثم دعاه، فقال: ألم أُخبر أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحىً تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابساً، وقال لأصنعن لك رحىً يتحدث الناس بها. فلما ولَّى قال عمر لأصحابه: أوعدني العبد آنفاً، ثم اشتمل أبو لؤلؤة، على خنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغلس، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة، فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٢٥).

قال عمرو بن ميمون الأنصاري: إن أبا لؤلؤة، عبدُ المغيرة بن شعبة، طعن عمر بخنجر له رأسان، وطعن معه اثني عشر رجلاً مات منهم ستة، فألقى عليه رجلٌ من أهل العراق ثوباً، فلما اغتم فيه قتل نفسه. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٢٥).

وصية عمر ووفاته:

قال عمرو بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي بيد رجل يدَّعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله بن عمر: انظر ما عليَّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوها، فقال: إن وَفى مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي، فأتى عبد الله بن عمر فقال: قد أذنت، فحمد الله.

قيل لعمر: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة، وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز، ولا خيانة، ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فلما توفى خرجنا به نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، وقال: يستأذن عمر، فقالت عائشة: أدخلوه، فأدخل فوضع مع صاحبيه. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٢٦).

أُصيبَ عمر بن الخطاب يوم الأربعاء، السادس والعشرون من ذي الحجة، ودُفن يوم الأحد مستهل المحرم، وله ثلاث وستون سنة، وصلى عليه صهيب الرومي في المسجد. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص-١٢٧).

رَحِمَ اللهُ عمرَ بن الخطاب رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

ونسأل الله تعالى أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة.

وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدين.

نظرات في حديث توبة قاتل المائة

الحلقة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ذكرنا في هذا الحديث من الفوائد: الاعتبار بما مضى في السابقين، وأن قساوة القلب لها حد ولها نهاية، وأن المستكثر من أي شيء يمل منه إلا المستكثر من الطاعات والبر والإيمان، فإنه وإن فتر بعض الوقت لا يمل من الطاعة ، وقصور عقل بني آدم ما لم ترتبط بالشرع، وأن التائب حين يريد التوبة ويطلبها عليه أن يسأل عن حكم أخطائه وكيف يتحلل منها، وأن التائب حين سأل الناس عن أعلم أهل الأرض، فدله من سأله عن العالم بحسب ما يعرف، وأن العالم هو الذي يحبب الناس في الله، وأنه لا يقف عند حد الفتوى الجافة، بل يوجد لهذا السائل مخرجاً كريماً، فينبغي البحث عن هذا الصنف من العلماء، وأن العالم له فضل على العابد؛ وفضل الصحبة الطيبة وغير ذلك، ثم نكمل ما بدأناه فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الثانية عشرة:

أن الشيطان أبعد عن الجماعة منه عن الواحد، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:» خطبنا عمر بالجابية، فقال:....عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته، فذلكم المؤمن» [أخرجه الترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي] وأن من أراد التوبة لا بد أن يلتحق بصحبة طيبة، فالمرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم واستقامتهم على أمر الله يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم، وإن لم يكن عمله بلغ مبلغهم: فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مَسْعُود رضي الله عنه جاء رَجُلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رَسُولَ اللَّه ! كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا ولم يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ مع من أَحَبَّ» [صحيح البخاري].

إعداد/ محمد رزق ساطور

وعن أَنَس بن مَالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا أنا وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَارِجَانِ من الْمَسْجِدِ فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أَعْدَدْتَ لها، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ، ثُمَّ قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَعْدَدْتُ لها كَبِيرَ صِيَامٍ ولا صَلَاةٍ ولا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قال أنت مع من أَحْبَبْتَ» [صحيح البخاري].

وعند مسلم قال أَنَسٌ: فما فَرِحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ من قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّكَ مع من أَحْبَبْتَ» قال أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لم أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ»، ولا يترك المرء نفسه وحده، حتى لا يقع في مصايد الشيطان ومخالبه ووساوسه التي تفسد على العبد علاقته بالله تعالى.

الثالثة عشرة:

أن الموت يأتي بغتة، « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ »[ق: ١٩]، وأن العبد إذا علم أنه مهدد بالموت صحح نيته، وعقيدته وعبادته فيلقى الله تعالى على نية حسنة، فمن كان يظن أن يموت هذا القاتل وهو لا يزال بصحته وقوته، والدليل على ذلك أن الرجل الذي ذهب ليستفتيه لما استفزه وأخبره أن لا توبة له قتله وأكمل به مائة، مع أن المسألة لا تتعلق لا بالصحة ولا بالسن.

وطالما أن العبد لا يدري متى يموت فينبغي له أن يستعد للموت قبل أن يأتي بغتة، وعلمه بذلك يدفعه إلى سرعة التوبة والإنابة والتذلل والندم، حتى يعطيه الله فوق نيته الطيبة بغير حساب كرماً منه تعالى وإحساناً.

الرابعة عشرة:

إذا أحب الله تعالى عبداً قبل منه توبته، ووفّقه

إليها، ومن ثم فإذا علم العبد ذلك حرص عليها لينال هذا الحب والرضوان حتى إذا ما قُبض، لقي الله تعالى وهو عنه راض ولما توقف الحكم على هذا الرجل على المسافة بين الأرض الطيبة أو الأرض السوء، طوى الله تعالى الأرض، وقرّب التائب من الأرض الطيبة ليكون من أهلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الخامسة عشرة:

فضل وشرف ابن آدم وأنه حين يستقيم على أمر الله فإنه يكون أشرف من الملائكة، بل إن الملك الذي نزل ليحكم بين الملائكة تصور في صورة آدمي، وهذا يدل على شرف الصورة، فكيف بالأصل إذا استقام وأناب لله رب العالمين «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » [الإسراء: ٧٠].

السادسة عشرة:

أن العابد بغير علم يضر نفسه وغيره. فكل صاحب مهنة إذا كان على غير علم ضر غيره ولم يك أميناً في مهنته ولا صادقا في نصيحته، ولا ينبغي أن يُرجع إليه في شيء، ولذلك فإن الله عز وجل مَنّ على آدم عليه السلام بنعمة العلم التي رفعت من قدره عليه السلام إلى الدرجة التي جعلت الملائكة يسجدون له تكريماً له، قال الله تعالى: « وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ » [البقرة: ٣١- ٣٤].

السابعة عشرة:

قبول التوبة من جميع الكبائر بما فيها القتل، وإن كان القاتل عمداً وهو مذهب جمهور العلماء، فهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا فقد قرره شرعنا، قال تعالى «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » [الفرقان: ٦٨- ٧٠].

قال ابن حجر في فتح الباري: « وفيه - أي الحديث الذي نحن بصدده - مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه... وقال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب.....»

قال ابن كثير: والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملاً صالحاً، بدَّل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته».

فإن قيل: وكيف تقبل توبة العبد القاتل وفي عنقه حقوق لبني آدم، وشرط التوبة رد المظالم إلى أهلها؟ فيجاب عن هذا بأن الله تعالى إذا رضي عن العبد وقبل توبته أرضى عنه خصومه. قال الطيبي: إذا رضي الله عن عبده أرضى عنه خصومه وردَّ مظالمه».

الثامنة عشرة:

أن الذنوب وإن عظمت فعفو الله أعظم، وإن صدقت توبة العاصي حقت رحمته. وفيها أيضاً سعة رحمة الله رب العالمين، وأن الله تعالى يريد أن يتوب على عبده كما قال تعالى: «وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا » [النساء: ٢٧]، «وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ » [الشورى: ٢٥].

التاسعة عشرة:

أن بيئة المرء التي يعيش فيها لها اثر كبير على سلوكه وعلاقته بالله جل جلاله؛ وقد ذكر العلماء أن مفارقة التائب للمواضع التي أصاب فيها الذنوب من الأمور المستحبة والمعينة على ثبات التوبة وقوتها، وكذلك مقاطعة الحائين له على المعصية، واستبدالهم بصحبة من أهل الخير والصلاح المقتدى بهم، فمثلاً من كان يشرب الخمر وأقبل على الله ورغب في التوبة فإنه يجب عليه أن يهجر أصحابه الذين يشربونها والمجالس التي تشرب فيها.

العشرون:

ليسأل كل منا نفسه، إذا نزل بنا الموت الآن فهل تنزل ملائكة الرحمة أم تنزل ملائكة العذاب أم

ينزل الفريقان فيختصمان ويحرص كل فريق منهما على أن يأخذ تلك الروح معه؟ يقول الله تعالى « ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » [النحل: ٣٢]، ويقول تعالى «ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » [النحل: ٢٨]، ويقول الله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ » [الأنفال: ٥٠].

الحادية والعشرون:

ليقل كل واحد منا لنفسه: أيليق بي أن أكون من أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا أدخل الجنة؟ في حين أن رجلاً ممن قبلنا قتل مائة نفس وتاب ودخلها، مع أن القتل شنيع، قال عنه الله تعالى «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ » [المائدة: ٣٢]، فانظر إلى إثم الرجل ووزره الذي يحمله قتل الناس جميعاً مائة مرة، ثم استطاع أن ينخلع من ذلك الإثم كله بالتوبة الصحيحة الصادقة، فمهما بلغت ذنوبي من الممكن أن أنخلع عنها بالتوبة فما الذي يؤخرك عن ذلك، فبادر بالتوبة حتى تجدد الأمل في الجنة.

الثانية والعشرون:

التائب حبيب الرحمن يفرح الله تعالى بتوبته؛ فيسد حاجته ويرضيه، ويزيده من فضله، ويجبر كسره، ويقوي عزمه ويرضي عنه الخصوم، ويصحح نيته وعمله، أخرج البخاري عن الحارث بن سُوَيْد حدثنا عبد الله بن مَسْعُود حَدِيثَيْنِ أَحَدُهُمَا عن النبي صلى الله عليه وسلم وَالْآخَرُ عن نَفْسه قال: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قاعدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ على أَنْفِهِ، فقال به هَكَذَا قال أبو شِهَابٍ بيده فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قال: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ العبدِ من رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عليها طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وقد ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حتى اشْتَدَّ عليه الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أو ما شَاءَ الله قال: أَرْجِعُ إلى مَكَانِي فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فإذا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»، لذلك لما « اخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى الله إلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي، وقال قِيسُوا ما بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ له » .

فواضح أنهم إن قاسوا قبل أن يوحي الله تعالى إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وإلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي؛ لكان أقرب للأرض التي كان فيها ولهلك، لكن الله تعالى لما قبل منه توبته أَوْحَى إلى هذه أَنْ تَقَرَّبِي وَأَوْحَى إلى هذه أَنْ تَبَاعَدِي فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وهذا فضل الله للتائبين، فلنحرص على التوبة لتحسن خاتمتنا. هذا آخر ما تيسر في هذا الحديث المبارك، فأسأل الله تعالى القبول لي ولجميع المسلمين. والحمد لله رب العالمين.

إشـــهـــار

طبقاً لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م

١ - تم بحمد الله إشهارفرع أنصار السنة المحمدية فرع جهينة القبلية مركز فاقوس تحت رقم ٢٨٦٨ لسنة ٢٠١٢م

٢ - تم بحمد الله إشهارفرع أنصار السنة المحمدية فرع الحجازية مركز الحسينية تحت رقم ٢٦٤٥ لسنة ٢٠١٢م

إنا لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية عند الله تعالى واحداً من خيرة رجالها وهو الشيخ حسين جاد الله رئيس فرع ترسا بالجيزة ، نسأل الله العلى القدير للمتوفى المغفرة والرحمة

الأمين العام أحمد يوسف

عقيدة الرافضة في صفات رب العالمين

إعداد/ اسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:
فإن فرق الضلال والبدع يتشابهون في كثير من معتقداتهم، وهذا مصداق قول الله عز وجل: «وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» [البقرة: ١١٣].
ومن العقائد التي تشابهت فيها قلوب فرق الضلال إنكار صفات الخالق سبحانه؛ إما بتحريفها عن معناها المراد، أو تعطيلها وتشبيهها بصفات المخلوقين، وكل ذلك إلحاد في صفات رب العالمين.
والله عز وجل له صفات ذات؛ كاليد، والوجه، والسمع، والبصر. وصفات أفعال؛ كالنزول، والاستواء، والكلام، والخلق.
وأهل السنة والجماعة وسط بين فريقين؛ هم المعطلة الذين نفوا صفات الله تعالى وعلى رأسهم الجهمية، والممثلة الذين غالوا في إثباتها حتى شبهوا صفات الخالق بصفات المخلوق، فغلوا في الإثبات، وغلوا في التنزيه، لكن أهل السنة هداهم ربهم بإيمانهم فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه من صفات الذات وصفات الأفعال بلا تعطيل ولا تمثيل، كما قال جل شأنه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].
وعقيدة الرافضة في الأسماء والصفات كعقائد إخوانهم اليهود والجهمية؛ تدور بين التجسيم والتعطيل، فقد غلوا في إثبات صفات الله، حتى قال بعضهم بوحدة الوجود، قال ابن المرتضى: «إن أهل الروافض على التجسيم إلا من اختلط منهم بالمعتزلة». [المنية والأمل لابن المرتضى ص١٩].
إلا أنهم في أواخر القرن الثالث تأثر بعض أئمتهم بالمعتزلة فذهبوا إلى التعطيل بعد غلوهم في التجسيم والتشبيه، قال ابن المطهر: «مذهبنا في الأسماء والصفات كمذهب المعتزلة». [نهج المسترشدين لابن المطهر ص٣٢].
وقد حذا الروافض حذو الجهمية والمعتزلة كذلك في قضية خلق القرآن، فقد عقد شيخهم المجلسي في باب القرآن: «باب أن القرآن مخلوق».
يؤكد ذلك آية الشيعة محسن الأمين بقوله: «قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق». [أعيان الشيعة ١/٤٦١].
ذلك لأنهم نفوا صفة الكلام عن رب العالمين، مع ثبوتها بالأدلة القاطعة يقول سبحانه: «وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤]، ويقول جل شأنه: «وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ» [الأعراف: ١٤٣]، وقال عز وجل: «قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ» [الأعراف: ١٤٤]، ويقول أيضًا: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ» [سورة التوبة: ٦]، بيد أن الرافضة أبوا إلا الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وصدق سبحانه: «وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ» [الأعراف: ١٨٠].

أما عن رؤية الله في الآخرة فقد سار الرافضة على نهج الخوارج والمعتزلة فأنكروها وجحدوها، ففي «بحار الأنوار» أن أبا عبد الله جعفر الصادق سُئل: هل يُرى الله تبارك وتعالى في المعاد؟ فقال: «سبحان الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.. إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية». [ج٤/٣١].

بل إن شيخهم الحر العاملي جعل نفي الرؤية من أحوال أئمتهم، وقد صرح شيخهم جعفر النجفي بارتداد من نسب إلى الله بعض الصفات كالرؤية وغيرها. [كشف الغطا ص٤٤٧].

رؤية الله في الآخرة ثابتة لأهل الإيمان

ورؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة بالقرآن والسنة المتواترة، يقول جل شأنه: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» [القيامة: ٢٢- ٢٣]، ويقول سبحانه: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» [يونس: ٢٦]، والزيادة هي النظر إلى وجه الله كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح مسلم.

وفي الحديث المتواتر: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته». [البخاري ومسلم].

فإن قال قائل: فماذا يعني قول الله: «لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» [الأنعام: ١٠٣]، قلنا: إن الإدراك يغاير الرؤية؛ إذ الإدراك معناه الإحاطة بالمرئي، فأنت ترى الشمس لكنك لا تدركها ولا تحيط بحرمها وحدودها، فنفي الإدراك يختلف عن نفي الرؤية.

وأما قول الله عز وجل لموسى عليه السلام: «لن تراني» فهي تفيد التأبيد المؤقت وليس التأبيد المطلق كقوله سبحانه في حق اليهود: «وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا» [البقرة: ٩٥]. مع أن القرآن أثبت أن أهل النار يتمنون الموت وهم في دركات النار، فالنفي للتمني في الدنيا وليس في الآخرة.

وقد نفى شيوخ الرافضة صفة النزول كذلك لرب العالمين، وحكموا على من أثبت هذه الصفة بالكفر، قال شيخهم المعاصر محمد بن المظفر: «ومن قال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، أو أنه يظهر إلى أهل الجنة، أو نحو ذلك، فإنه بمنزلة الكافر». وكذلك بمنزلة الكافر من قال: إنه يتراءى للخلق يوم القيامة. [عقائد الإمامية بالمظفر ص٥٩].

يقولون ذلك مع ثبوت حديث النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن أبا عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه عندما سُئل عن نزول رب العالمين إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير قال: «نقول إنه ينزل إلى السماء الدنيا؛ لأن الروايات صحت به والأخبار». [بحار الأنوار ٣/٣٣١].

قاصمة للشيعة

وإليك أخي القارئ قاصمة ظهر الشيعة من شيخهم أبي عبد الله جعفر الصادق بشأن صفات الله عز وجل، قال رحمه الله: وقد تذمر بعض أئمة أهل البيت من هذه الروايات وأمثالها متبرئين مما ينسب إليهم من علم غيب الله تعالى، ففي بحار الأنوار والاحتجاج عن بعض الأئمة أنه قال- تعالى الله عز وجل عما - يصفه المجرمون-، ليس نحن شركاء في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى «قل لا يَعْلَمُ مَن في السَّمَاوَات وَالأَرْض الْغَيْبَ إلا اللَّهُ»لقد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيدًا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا. [بحار الأنوار ٣٢/٢٥، ٦٧، ٣١٦].

فيا ليت عقلاء الشيعة ينتهون ويفقهون، إن كان فيهم عقلاء!!

والله من وراء القصد.

مواسم الطاعة في عام جديد

إعداد/ أيمن دياب

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعدُ:

فيا أيها القارئ الكريم اعلم أن الكيس منْ خاف ربهُ ودان نفْسهُ وعمل لما بعْد الموت، ولازم الشرْع بأمْر الظاهر والباطن، وحفظ قلبهُ منْ نسْيان ذكْر الله، وبادر دائمًا بالسُّرْعة للعمل الصالح منْ غيْر كسل ولا ملل.

فالشتاءُ تنْزلُ فيه البركةُ ويطُولُ فيه الليلُ للقيام، ويقْصرُ فيه النهارُ للصيام قال صلى الله عليه وسلم: «إن لربكُمْ في أيام دهْركُمْ نفحاتٍ، فتعرضُوا لهُ، لعلهُ أنْ يُصيبكُمْ نفحةٌ منْها، فلا تشْقوْن بعْدها أبدًا» [الصحيحة ح (١٨٩٠)]، فإذا أقبل الشتاءُ فخرجْنا بغنيمة العابدين وربيع المؤمنين، كُنا من الفائزين بإذْن الله.

عنْ عامر بْن مسْعود عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قال: «الْغنيمةُ الْباردةُ الصوْمُ في الشتاء» الصحيحة ح (١٩٢٢)، وكان أبو هُريرة رضي اللهُ عنهُ يقولُ: « ألا أدُلُّكُمْ على الغنيمة الباردة، قالُوا: بلى، فيقولُ: الصيامُ في الشتاء»، رواهُ الْبيْهقي موْقوفًا، ومعنى الغنيمة الباردة: أي السهْلة، ولأن حرارة العطش لا تنالُ الصائم فيه.

قال عُبيْدُ بنُ عُميْر منْ ثقات التابعيْن وأئمتهم بمكة: « قيامُ ليْل الشتاء يعْدلُ صيام نهار الصيْف» انظر: لطائف المعارف (٣٢٧/١).

وثبت عنْ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «الشتاءُ غنيمةُ الْعابدين» رواهُ أبُو نُعيْم بإسْنادٍ صحيحٍ.

فكيف يستغلُّ المسلمُ ليل الشتاء ونهاره؟

إنما كان الشتاءُ غنيمة الْعابدين لأنهُ يرْتعُ فيه في بساتين الطاعات، ويسْرحُ فيه في ميادين العبادات، فإن المؤمن يقْدرُ في الشتاء على صيام نهاره منْ غيْر مشقةٍ شديدةٍ، ولا كُلْفةٍ تحْصُلُ لهُ منْ جُوعٍ ولا عطشٍ، فإن نهارهُ قصيرٌ باردٌ، فلا يشعر فيه بمشقةٍ كبيرةٍ للصيام.

وقدْ أكد الصحابةُ رضْوانُ الله عليهم على ذلك، وكانوا يعْتنُون بالشتاء ويفْرحُون بقدومه ويحُثُّون الناس على اغْتنامه، كما ذُكر عنْ عُمر وأبي هُريرة آنفًا.

ولله درُّ الحسن البصْري -رحمهُ اللهُ- منْ قائل: « نعْم زمانُ المؤمن الشتاءُ؛ ليلهُ طويلٌ يقُومُهُ، ونهارُهُ قصيرٌ يصُومُهُ «.

وكان عُبيْدُ بن عُميْرٍ إذا جاء الشتاءُ يقولُ: « يا أهل القُرْآن، طال ليْلكُمْ لقراءتكُمْ فاقْرؤُوا، وقصر النهارُ لصيامكُمْ فصُومُوا « انظر: لطائف المعارف (٣٢٧/١).

فإذا لمْ نصُمْ صيام داود، أفلا نصُومُ الاثنين

والخميس؟ وإذا لمْ نصُم الاثنين والخميس، أفلا نصُومُ الأيام البيض؟ وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر منْ كل شهْر قمري!!

أخي القارئُ الكريم: إنّها فرصةٌ ذهبيةٌ للمُشْتغل الذي يبْتغي الأجْر من الله رب العالمين، وغنيمةٌ باردةٌ لهُ، ولمنْ عليْه قضاء، أو منْ عليْه كفارات فليغْتنمُوا جميعًا هذه الغنيمة الباردة.

وأما قيامُ ليْل الشتاء فلطُوله، ففيه قدْ تأخُذُ النفس حظها من النوْم، ثُم تقُومُ بعد ذلك إلى الصلاة، فيقرأ المُصلي وِرْده، وقدْ أخذتْ نفْسُهُ حظها المُحتاجة إليه من النوم، مع إدْراك وِرْده، فيكمُلُ لهُ مصلحةُ دينه وراحة بدنه.

إن الشتاء أمْرُهُ عجيبٌ لمنْ تذوق فيه طعْم العبادة، وقدْ ذكر اللهُ تعالى منْ أوْصاف أهْل الجنة أنهُمْ: « كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ »[الذاريات: ١٧]. الْهُجُوعُ: النوْمُ ليْلاً.

وقدْ ورد أن مُعاذ بْن جبلٍ رضي اللهُ عنْهُ بكى عنْد مشْهد الاحْتضار، فقيل لهُ: أتجْزعُ من الموْت وتبْكي؟! فقال: «ما لي لا أبْكي، ومنْ أحق بذلك مني؟ والله ما أبْكي جزعًا من الموْت، ولا حرْصًا على دُنْياكُمْ، ولكني أبْكي على ظمأ الهواجر وقيام ليْل الشتاء «[انظر: صفة الصفوة (٣/٢٠٢)]، وليْس هذا بغريبٍ، فإن للعبادة لذةً، منْ فقدها فهُو محْرُوم.

قال عبْدُ الله بنُ وهب-رحمهُ اللهُ-: « كُلُّ ملْذُوذٍ إنما لهُ لذةٌ واحدةٌ، إلا العبادة فإن لها ثلاث لذات: إذا كُنْت فيها، وإذا تذكرْتها، وإذا أُعطيت ثوابها «.

وكان أبُو هُريْرة رضي اللهُ عنْهُ يقْسمُ ليْلهُ ثلاثة أقْسام بين القيام والنوم وطلب العلم، وكان يقُولُ: «جزأتُ الليل ثلاثة أجْزاء: ثُلُثًا أُصلي، وثُلُثًا أنامُ، وثُلُثًا أذْكُرُ فيه حديث رسُول الله صلى الله عليه وسلم» انظر: مختصر « قيام الليل « للمرْوزي (ص ١٠١).

الأيام مراحل:

الأيامُ مراحلُ يقْطعُها المسلمُ مرْحلةً مرحلةً، وأفْضلُ الناس منْ أخذ منْ كُل مرْحلة زادًا للآخرة.

وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أنَّ صلاة الرجل في جوف الليل تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار. صحيح الترغيب ح (٢٨٦٦)، وإن الله - تعالى- ينْزل إلى سماء الدنيا حين يبْقى ثُلُثُ الليْل الآخرُ، فيقُولُ: «منْ يدْعُوني فأسْتجيب لهُ؟ منْ يسْألُني فأُعْطيهُ؟ منْ يسْتغْفرُني فأغْفر لهُ؟ حتى يطْلُع الْفجْرُ» رواه مسلم ح (٧٥٨)، وهذه الفضائل محرومٌ منها أكثرُ الناس اليوم، الذين يسهرون أمام الملاهي إلى نصف الليل، ثم ينامون عن صلاة الفجر، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكره النوم قبل صلاة العشاء، والحديث بعدها، إلا في خيرٍ، وفي الحديث: «لا سمر إلا لثلاثةٍ: مُسافرٍ، أوْ مُصلٍّ، أوْ عرُوس» الصحيحة ح (٢٤٣٥)، وإسباغ الوضوء في شدة البرد من أفضل الأعمال، عنْ أبي هُريْرة، أن رسُول الله صلى اللهُ عليْه وسلم قال: «ألا أدُلكُمْ على ما يمْحُو اللهُ به الْخطايا، ويرْفعُ به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسُول الله قال: «إسْباغُ الْوُضُوء على الْمكاره، وكثْرةُ الْخُطا إلى الْمساجد، وانْتظارُ الصلاة بعْد الصلاة، فذلكُمُ الرباطُ» رواه مسلم ح (٢٥١)، وفي حديث معاذ بن جبل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى ربه - عز وجل - يعني: في المنام - فقال له: «يا مُحمدُ، فيم يخْتصمُ الملأُ الأعْلى؟»، قال: «في الدرجات والْكفارات، قال: «الْكفاراتُ: إسْباغُ الْوُضُوء بالسبرات، ونقْلُ الأقْدام إلى الْجُمُعات- وفي رواية « الْجماعات «-، وانْتظارُ الصلاة بعْد الصلاة»، منْ فعل ذلك عاش بخيْرٍ ومات بخيْرٍ وكان منْ خطيئته كيوْم ولدتْهُ أُمهُ، «والدرجاتُ: إطْعامُ الطعام، وإفْشاءُ السلام، والصلاةُ بالليْل والناسُ نيامٌ»» الصحيحة ح (٣١٦٩)، والسبرة: شدة البرْد.

آدابٌ وأحكامٌ:

- ما يقال عند رؤية السحاب ونزول المطر:

عنْ عائشة رضي اللهُ عنْها أن النبي صلى اللهُ عليْه وسلم:«كان إذا رأى ناشئًا في أُفُق السماء ترك الْعمل وإنْ كان في صلاة ثُم يقُولُ: « اللهُم إني أعُوذُ بك منْ شرها» فإنْ مُطر قال: «اللهُم صيبًا هنيئًا»» الصحيحة ح(٢٧٥٧)، وفي رواية قال: «اللهُم صيبًا نافعًا» البخاري ح (١٠٣٢)، وفي رواية قال: «مُطرْنا بفضْل الله ورحْمته» مُتفقٌ عليْه.

- الدعاء لا يرد وقت نزول المطر:

قال رسُولُ الله صلى اللهُ عليْه وسلم: «ثنتان ما تردان الدعاء: عند النداء، وتحت المطر» صحيح الجامع ح (٣٠٧٨).

- من هدى النبي صلى اللهُ عليْه وسلم عند نزول المطر:

عنْ أنس قال: - أصابنا -ونحْنُ مع رسُول الله- - صلى الله عليْه وسلم - مطرٌ قال: فحسر ثوْبهُ، حتى أصابهُ من الْمطر، فقُلْنا: يا رسُول الله لم صنعْت هذا؟ قال: «لأنهُ حديثُ عهْدٍ بربه تعالى» رواهُ مُسْلمٌ ح (٨٩٨).

- ما يقال عند التضرر من زيادة المطر:

قال رسُولُ الله صلى اللهُ عليْه وسلم في مثل هذا الحال: «اللهُم حواليْنا، ولا عليْنا، اللهُم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأوْدية ومنابت الشجر» مُتفقٌ عليْه.

هذا ما تيسر لي إيراده، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

من الآداب الإسلامية

حفظ اللسان عن السخرية

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال الحديث عن الحق الثالث من حقوق الأخوة وهو حفظ اللسان وكفه عن السخرية.

فنقول مستعينين بالله: الأخوة ليست مجرد كلمات جوفاء باهتة باردة، بل الأخوة الحقيقية هي الموصولة بحبل الله، وإذا كانت الأمة الآن متشرذمة متهارجة، مشتتة ممزقة، ولن تقوم لها قائمة ولن يكون لها كيان إلا إذا اتحد صفها، والتام شملها، وتجمع أبناؤها، ولن يجمع هذا الشتات المتنافر إلا الأخوة الموصولة بحبل الله، الأخوة الصادقة في الله.

ومن حقوق الأخوة: إن لم تستطع أن تنفع غيرك بمالك، فكف عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان.

ولن تعظم حرمات المسلمين إلا إذا طهر المجتمع المسلم من أمراض وآفات خطيرة، منها: السخرية، واللمز والتنابز بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس والغيبة؛ لأن هذه الآفات إذا انتشرت في مجتمع اقتلعت المحبة من جذورها، وزرعت بذور الشقاق والعداوة والبغضاء، بل اقتلعت الأخضر واليابس، أمراض خطيرة، وآفات كثيرة ما انتشرت في مجتمع إلا دمرته.

ومن هنا جاء النهي عنها في القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

الآفة الأولى: السخرية:

مفهوم السخرية: يقال سخرت منه إذا هزئت به، وفي كتاب الله عز وجل: «فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ» [هود: ٣٨].

قال الفراء: يقال: سخرت منه ولا يقال سخرت به، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ» [الحجرات: ١١].

والسخرية تكون بالفعل والقول، والهزء لا يكون إلا بالقول والتنابز بالألقاب من السخرية، ومعناه أن ينادي الرجل أخاه بما يكره من الأسماء والكنى والألقاب، أي دعاء المرء صاحبه بما يكرهه بمثل هذا، فمن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه أو بأحب الكنى إليه.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [الحجرات: ١١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قوله تعالى: «وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ» [الحجرات: ١١] نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن النساء يعيرنني ويقلن لي: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلا قلت إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد». فأنزل الله هذه الآية.

حكم السخرية:

السخرية بأنواعها المختلفة حرام؛ لورود النهي عن ذلك في الآيات العديدة منها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ» [الحجرات: ١١].

وقوله تعالى: «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ» [هود: ٣٨].

وقوله جل وعلا: «وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» [الأنعام: ١٠].

السخرية بأهل العلم:

ومن أشد أنواع السخرية؛ السخرية من أهل العلم، وهي خرق في الدين؛ لأن أهل العلم والفقه لا ينبغي أن يُذكروا إلا بالجميل، قال الإمام الطحاوي: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل».

وقال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بإخوانه ذهبت مروءته.

قال الإمام أحمد بن الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم ولاسيما أكابرهم من كبائر الذنوب، وهم مفسدون في الأرض، وقد قال الله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ» [يونس: ٨١].

وهم عرضة لحرب الله تعالى، ففي الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». [البخاري].

وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة: مثل البغي، وقطيعة الرحم».

لذلك يُخشى على من سخر من العلماء سوء الخاتمة.

فمن تلذذ بغيبة العلماء والقدح فيهم يُخشى عليه أن يُبتلى بسوء الخاتمة، فلحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، قال الإمام أحمد رحمه الله:

لحوم العلماء مسمومة، ومن شمها مرض، ومن أكلها مات.

لحوم العلماء مسمومة.. ومن يعاديهم سريع الهلاك.

فكن لأهل العلم عونًا وإن.. عاديتهم يومًا فخذ ما أتاك.

فمن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبِّ الديك، لأنه يدعو إلى الصلاة، روى الإمام أحمد وأبو داود: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة». فكيف يستبيح قوم إطلاق ألسنتهم في ورثة الأنبياء والداعين إلى الله عز وجل.

قال الله تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» [فصلت: ٣٣].

ولما استهزأ رجل من المنافقين بالصحابة الفقهاء رضي الله عنهم قائلاً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، أنزل الله عز وجل: «وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ» [سورة التوبة: ٦٥- ٦٦].

إن العلماء هم «عقول الأمة»، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرة بالبقاء.

السخرية من العامة:

القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن، ليست هي القيم الحقيقية التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى وموازين أخرى يعلمها الله جل وعلا.

فقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف، وقد يكون من يسخرون منه أعظم عند الله تعالى، والذي يسخر لا يساوي عند الله جناح بعوضة، وقد وضح الصادق الأمين هذه الحقيقة فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». وقال: «اقرءوا: «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا» [الكهف: ١٠٥].

وروى الإمام مسلم: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره».

وروى البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌ - خليق به وجدير - إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر رجل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال: أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من ملء الأرض من هذا».

قال الله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ» [الحجرات: ١٣].

وروى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وروى الإمام مسلم عنه أيضًا: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

فلا ينبغي أن يسخر رجال من رجال، ولا نساء من نساء، فإن السخرية لا تكون إلا من المتكبرين، والعياذ بالله.

وللحديث بقية إن شاء الله وقدر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التحذير من المنافقين المفسدين

قال تعالي: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ» [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

من فضائل الصحابة

عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خالد سيف من سيوف الله عز وجل ونعم فتى العشيرة». وفي رواية عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين». [صحيح الجامع]

حكم ومواعظ

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه هكذا». [أورده البخاري في صحيحه معلقا ج ٥/ ص ٢٣٢٥].

من غريب الحديث

في حديث معاوية بن الحكم السلمي «فبأبي هو وأمي ما ضربني ولا شتمني ولا كهرني» (أخرجه مسلم) الكهر: الانتهار. وقد كهره يكهره إذا استقبله بوجه عبوس. [النهاية في غريب الحديث].

من أقوال السلف

عن سليم بن قيس العامري قال: سأل ابن الكواء عليًا عن السنة والبدعة، وعن الجماعة والفُرْقَة، فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة، فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صلى الله عليه وسلم، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، وإن قلوا، والفُرْقَة مجامعة أهل الباطل، وإن كثروا. [كنز العمال].

العجوة دواء للسحر

عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصبّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» [صحيح البخاري].

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

التحذير من الوقوع في الأعراض

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «لمّا عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النّاس، ويقعون في أعراضهم. [رواه أحمد في المسند وصححه الألباني].

من حكمة الشعر

توكل على الله في النائبات
ولا تبغ فيها سواه بديلا
وثق بجميل صنيعَ الإله
فما عوّد اللهُ إلا جميلا

من دلائل النبوة

عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة. [متفق عليه].

من أمثال العرب

«زَمَانٌ أَرَبّتْ بالكلاَب الثَّعَالِبُ».
يقال: أَرَبّ به إذا أَلِفَهُ ولزِمَه، ومنه «مربّ الإبل»؛ حيثُ لزمته، يعني اشتد الزمانُ فسمنَ الكلبُ من أكل الجِيَفِ، فلم يتعرّض للثعلب. يُضرب لمن يُوَالي عَدُوَّه لسبب مَا.
[مجمع الأمثال للنيسابوري]

من نصائح السلف

قال الفضيل: إنما نزل القرآن ليُعْمَل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل: كيف العمل به؟ قال: أي: ليحلّوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه».
[اقتضاء العلم للبغدادي].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء» [الترمذي وصححه الألباني].



أثر السياق في فهم النص

ضوابط الفروق بين البدعة والمصلحة المرسلة

الحلقة (٤٤)

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إذا كنا قد تكلمنا عن المصلحة بضوابطها، وأنها قرينة عامة من قرائن فهم النصوص الشرعية، وأنها المقصد العام للشريعة، والمقصد الخاص لكل حكم من أحكامها.

فإن البعض قد يخلط بين المصلحة، وخاصة المرسلة منها وبين البدعة، ويدخل منها إلى باب البدع؛

لذا فنحن نبين الفرق بينهما لتجلية هذا الأمر.

أولا: أقسام المصلحة:

المصلحة هي جلب المنفعة أو دفع المضرة، فما من خير إلا دعت إليه الشريعة ورغبت فيه، وما من شر إلا حذرت منه ونهت عنه.

وهي ثلاثة أقسام: القسم الأول: وهو ما شهد الشرع باعتبارها، وهي المصلحة المعتبرة، وهي إما منصوص عليها، أو يُستخدم فيها القياس، وهو: اقتباس الحكم، أي استفادته وتحصيله من النص سواء من الكتاب أو السنة، أو من الإجماع.

ومثال الأول وهو المصلحة المنصوص عليها: تحريم شحم الخنزير قياسًا على تحريم لحمه الذي ورد في القرآن: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ» [المائدة: ٣].

ومثال الثاني: وجوب الحدِّ بوطء ذات المحرم بعقد النكاح؛ قياسًا على وطئها بالزنى، وهو محل اتفاق بين العلماء.

القسم الثاني: وهو ما شهد الشرع ببطلانه من المصالح، وهي المصلحة الملغاة، ومثال ذلك: من أفتى بأنه يتعين الصوم على الموسر في كفارة الوطء في رمضان، على اعتبار أنه قادر على عتق الرقاب، ولن يزجره ذلك عن انتهاك حرمة نهار رمضان.

وهذه مصلحة ملغاة لأنها تخالف نصًا أوجب عليه عتق رقبة، وهو قادر عليها، فلا ينتقل إلى الصيام، فهذا تغيير للشرع بالرأي، ولو أراد الشرع ذلك لبينه.

القسم الثالث: ما لم يشهد له الشرع ببطلان ولا اعتبار، وليس له نظير ورد به النص ليقاس عليه، ويسمى المصلحة المرسلة.

ومثال ذلك: جمع القرآن، وتدوين الدواوين، واتخاذ عمر والخلفاء من بعده السجون.

[انظر روضة الناظر ١/٤٧٨- ٤٧٩، شرح

مختصر الروضة ٣/٢٠٥، تيسير علم أصول الفقه للجديع ١/١٩٧-١٩٩].

والجمهور على أن المصلحة المرسلة حجة، ولكن بشروطها.

شروط المصلحة المرسلة:

١- ألا تكون المصلحة مصادمة لنص أو إجماع أو قياس.

٢- أن تكون نافعة؛ إما بجلب نفع أو دفع ضر.

٣- ألا يرد في الشرع اعتبار لها أو إلغاء.

٤- أن يكون مستندها أصول الدين العامة.

٥- أن تكون عامة وليست خاصة بفرد أو بعدد محدود من الأفراد.

٦- أن تعود على مقاصد الشريعة بالحفظ والصيانة.

٧- ألا تعارضها مصلحة أرجح منها أو مساوية لها، وألا يلزم من العمل بها مفسدة أرجح منها أو مساوية لها.

- نوعا الأحكام الشرعية:

يقول ابن القيم: الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وُضع عليه.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا، وحالًا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوِّع فيها بحسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة.

[قلت: حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه». [صحيح سنن الترمذي وغيره]، قيل: كان هذا في أول الإسلام ثم نُسخ، ففي حديث جابر رضي الله عنه:... ثم أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة فضربه ولم يقتله. (قال الترمذي: والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم سنن الترمذي ٣/٤٤٤].

قال النووي: دل الإجماع على نسخه (القتل في الرابعة). [شرح النووي على مسلم ٥/٢١٨].

وكذلك نقل الحافظ ابن حجر عن الشافعي أن أحاديث القتل منسوخة، وكذا عن ابن المنذر قال: ثم نسخ ذلك بالأخبار الثابتة وبإجماع أهل العلم إلا من شذَّ ممن لا يُعدّ خلافه خلافًا. [فتح الباري ١٢/٨٠].

وقيل: بل هو من باب التعزيرات التي تُترَك لولي الأمر، أو هو من باب الوعيد الشديد، أو القتل المراد به هنا الضرب الشديد].

وعزم على التعزير بتحريق البيوت على المتخلف عن حضور الجماعة، لولا ما منعه من تعدي العقوبة إلى غير من يستحقها من النساء والذرية... وأخبر عن تعزير مانع الزكاة بأخذ شطر ماله...

وكذلك عمر رضي الله عنه كان يعزر بحلق الرأس وينفي ويضرب، وحرق قصر سعد بالكوفة لما احتجب فيه عن الرعية. [إغاثة اللهفان ١/٣٣٠-٣٣٣ بتصرف يسير].

فالنوع الأول، وهو الأحكام الثابتة، لا تدخله المصلحة المرسلة، أما النوع الثاني وهو ما لم يحدده الشرع، فإن هذا تدخل فيه المصلحة بشروطها السابقة.

وبشكل آخر نقول: إن المصلحة المرسلة لا تدخل في العبادات البتة التي مبناها على التوقيف التام، فالمصلحة كل المصلحة أن تؤدَّى كما هي عليه، بلا زيادة ولا نقصان ولا استحسان بعقل أو ذوق أو وجدان، وكذلك في المعاملات التي ورد نص قاطع بها.

فالمصلحة في أصلها: هي المحافظة على مقصود الشارع، ولا شك أن الابتداع في الدين ليس فيه المحافظة على مقصود الشارع، بل هو هادم وناقض لمقصود الشارع.

تعريف البدعة:

لغة: هو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: «بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» [الأنعام: ١٠١] أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم.

اصطلاحًا: هي طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشريعة يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.

ومن التعريف نعلم أن الأمر متعلق بالدين، أما الدنيا فالطرق المخترعة فيها لا تسمى بدعة، كالصناعات والبلدان والطرق والمخترعات، وغير ذلك.. (انظر الاعتصام للشاطبي ١/٤٩- ٥١).

- كل بدعة ضلالة:

ففي حديث جابر رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة. [صحيح مسلم].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه.

وفي رواية: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد». [صحيح مسلم].

وكما هو معلوم أن «كل» من صيغ العموم، بل هي من أقوى صيغ العموم، فهذا يدل على إبطال جميع البدع، لا فرق بين بدعة وبدعة، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يستثن منها شيئًا.

الرد على من قسّم البدعة إلى خمسة أقسام:

ذهب بعض أهل العلم إلى تقسيم البدع بأقسام أحكام الشريعة الخمسة، ولم يعدها قسمًا واحدًا مذمومًا، فجعلوا منها ما هو واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم، وبسط ذلك القرافي تبعًا لشيخه عز الدين بن عبد السلام، فمما قاله في البدعة الواجبة: كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها من الضياع.

وفي البدعة المحرمة: كالمكوس، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح بطريق التوريث.

وفي البدعة المندوبة: كصلاة التراويح، واختلاف أحوال الأئمة والولاة باختلاف الأمصار والقرون وأحوال أهلها، كما اتخذ معاوية رضي الله عنه الحُجّاب والثياب النفيسة، فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك، فقال: إنا بأرض نحن فيها محتاجون لهذا، فقال له: لا آمرك ولا أنهاك.

وفي البدعة المكروهة: كتخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بقيام.

ومن البدع المباحة: كاتخاذ المناخل للدقيق ونحو ذلك.

ثم قال: إن الطريق في معرفة ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب، فهي واجبة، وفي قواعد التحريم فهي محرمة، وهكذا إلى باقي الأقسام الخمسة.

والرد على ذلك:

أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة ألا يدل عليها دليل شرعي، لا من نصوص الشرع، ولا من قواعده.

إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة، لما كان ثمَّ بدعة، ولكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعًا، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمعٌ بين متنافيين.

أما المكروه منها والمحرم، فلو دل الدليل على التحريم أو الكراهة، لم يثبت بذلك كونه بدعة، لإمكان أن يكون معصية، كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها.

وظاهر كلام العز بن عبد السلام والأمثلة التي ضربها أنه سمّى المصلحة المرسلة بدعًا، كما سمّى عمر رضي الله عنه الجمع لصلاة التراويح بدعة. [انظر الاعتصام للشاطبي ١/٢٤١- ٢٧٠].

الفرق بين البدعة والمصلحة المرسلة:

وحتى نضبط أمر الفارق بين البدعة والمصلحة المرسلة، فهناك قواعد في البدع لا بد من الوقوف عليها حتى يتجلى لنا الأمر، ومن هذه القواعد.

القاعدة الأولى: الأصل في العبادات المنع وفي العادات الإباحة:

هذه قاعدة ذهبية، تسدُّ الكثير من أبواب البدع، فلا عبادة إلا بدليل، وأما العادات فالأصل فيها الإباحة ولا يمنع منها إلا بدليل.

يقول شيخ الإسلام: إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أوجبها رسوله لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى... ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف فلا يُشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى، وإلا دخلنا في معنى قوله: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ» [الشورى: ٢١].

والعادات الأصل فيها العفو، فلا يُحظر منها إلا ما حرّمه وإلا دخلنا في معنى قوله: « قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا » [يونس: ٥٩]. (مجموع الفتاوى ١٦/٢٩، ١٧).

القاعدة الثانية: ليس في الشرع بدعة حسنة:

فكل بدعة ضلالة، ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». [صحيح سنن أبي داود وغيره].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يستثن شيئًا من البدع، لا في هذا الحديث ولا في غيره، فيُحمل النص على العموم، وكما ذكرنا فإن «كل» من أقوى صيغ العموم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة

ضلالة وإن رآها الناس حسنة». [السنة للمروزي ١/٢٩].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويُحدَث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول». [السابق].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «إياكم وما ابتُدع، فإن ما ابتُدع ضلالة». [الإبانة لابن بطة ١/٣٣٩].

شبهات:

يحتج بعضهم بالبدعة الحسنة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه جرير رضي الله عنه: وفيه: «من سنَّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء..» [صحيح مسلم].

والجواب على ذلك أن هذا الحديث لا دليل فيه على الابتداع؛ لأنه ورد في أمر مقرر في الشرع وهو الصدقة. ومعرفة واقعة ورود الحديث تبين ذلك.

٢- الاحتجاج بقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن».

والجواب: أ- أن هذا الحديث موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه، فلا يجوز أن يُحتج به في معارضة النصوص القاطعة في أن: «كل بدعة ضلالة»، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- وعلى افتراض صلاحية الاحتجاج به فإنه لا يُعارض تلك النصوص، لأمور:

الأول: أن المراد إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعود رضي الله عنه به على إجماع الصحابة على انتخاب أبي بكر رضي الله عنه خليفة، وعليه فاللام في «المسلمون» ليست للاستغراق، كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: سلمنا أنه للاستغراق، ولكن ليس المراد به مطلقًا كل فرد من المسلمين ولو كان جاهلًا، فلا بد إذن من أن يُحمل على أهل العلم منهم. [انظر السلسلة الضعيفة للألباني ٢/١٧- ١٨].

٣- قول عمر رضي الله عنه عن تجميع الناس لصلاة التراويح: «نعمت البدعة هذه».

والجواب: تقدم أن للبدعة معنيين؛ لغويًا واصطلاحيًا، وهي تأتي في القرآن (كما سبق)، وفي كلام العرب بالمعنى اللغوي، فكلام عمر رضي الله عنه لغة وليس اصطلاحًا.

يقول شيخ الإسلام عن قول عمر: «وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية». [اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٩٥].

القاعدة الثالثة: البدع كلها محرمة:

ليس فيها مكروه، فمن تعريفات المكروه: هو ما لا يأثم فاعله ويثاب تاركه.

فإذا كان في البدع مكروه، معنى ذلك أن الواقع فيها ليس بآثم؛ لأنه لم يرتكب محرمًا، وما قاله الشاطبي من تقسيم البدعة إلى قسمين: محرمة ومكروهة. فإنه يعني الكراهة التحريمية التي يأثم فاعلها وليست الكراهة التنزيهية التي لا إثم على فاعلها، بدليل قوله: «إذا تقرر أن البدع ليست في الذم ولا في النهي على رتبة واحدة، وأن منها ما هو مكروه، كما أن منها ما هو محرم، فوصف الضلالة لازم لها، وشامل لأنواعها، لما ثبت من قوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة». [الاعتصام: ١/٥٣٠، ٥٣١].

القاعدة الرابعة: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة:

وهذا الأثر قاله ابن مسعود رضي الله عنه. [السنة للمروزي ١/٣٠].

وكذلك ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع، ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر. [السابق ١/٣٢].

وعن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله: من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد، فقال: لا تفعل، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها!

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إني سمعت الله يقول: « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [النور: ٦٣].

وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسير الآية، هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنّه نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتدوا إليه بعقولهم. [الاعتصام: ١/١٧٤].

قال مالك: ومن أحدث في هذه الأمة شيئًا لم يكن عليها سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » [المائدة: ٣].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله

قصة سبأ

«بلدة طيبة ورب غفور»

الحلقة الأولى

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك مدبر الأمر يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيد الشاكرين وإمام الصابرين محمد بن عبد الله نبي الأمين ورحمة الله للعالمين. أما بعدُ:

قال الله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ» [سبأ: ١٥، ١٧].

أخي القارئ الكريم: نقف بك اليوم على عتبة هؤلاء القوم الذين استدرجهم الشيطان فأنساهم ذكر الرحمن، وكفروا بنعمه الظاهرة والباطنة، فعاقبهم الله في الدنيا قبل الآخرة ليكونوا مثلاً لمن يعتبر، وقبل أن نقف مع الآيات القرآنية التي تحدثنا عن آيات كونية ننظر في مورد الآيات في هذا الموضع من السورة التي تسمت باسم القوم «سبأ»، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: بين يدي القصة: من هم سبأ؟

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: «كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التابعة (أي قوم تُبَّع) منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزق الله ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أُمروا به فعُوقبوا بالسيل والشتات». اهـ مع تصرف يسير.

ثم نقل لنا حديثًا رواه الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أو امرأة أم أرض؟ قال صلى الله عليه وسلم: «بل هو رجل ولد له عشرة، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية: فلخم وجذام وعاملة وغسان». وقال الإمام ابن كثير عن هذا الحديث: «إسناده حسن».

فهؤلاء القوم انتسبوا إلى أبيهم سبأ، وقد استوطنوا اليمن حول سد مأرب الذي ازدهرت حوله حضارة اليمن في تلك الحقبة التاريخية، وظلوا على الإسلام منذ عهد بلقيس وفي عهد أبيهم سبأ حتى جاءت أجيال تركوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وانحرفوا عن منهج الله؛ فأصابهم ما سنوضحه إن شاء الله.

ثانيًا: علاقة القصة بالسورة وبالآيات السابقة واللاحقة:

نلاحظ أن السورة (سورة سبأ) بدأت بالثناء على الله الذي يملك الدنيا والآخرة إلى سعة علمه وسعة رحمته وعفوه، ثم انتقلت للحديث عن الكافرين المكذبين بنعمة ربهم الذي أرسل لهم رسولاً منهم

فكذبوه وأنكروا ما أخبرهم به من بعث وجزاء.
ثم انتقلت للحديث عن آل داود وما خصَّ الله به سليمان عليه السلام من فضل وإنعام.
فكان الحديث عن سليمان فيه تسرية للنبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان سليمان من الشاكرين جاء ذكر قصة سبأ كمثال للكافرين بنعمة الله المادية والمعنوية فيه نوع من المقابلة بين الشكر والكفر.
كما كان في ذكر سبأ بعد الحديث عن قريش تنبيه للغافلين بسنن الله التي لا تحابي أحدًا، وأن ما أصاب السابقين غير بعيد عن قريش وغيرهم، وهو نوع من مشابهة كفار مكة بكفار سبأ.

ثالثًا: وقفة مع الآيات القرآنية:

١- قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ» [سبأ: ١٥] لقد كان لقبيلة سبأ باليمن فيما أنعم الله عليهم في مساكنهم ومزارعهم آية وعلامة تدل على قدرة الله سبحانه على خلقه ورحمته بهم وتفضله وإنعامه عليهم مما يستوجب شكره سبحانه بإخلاص توحيده، وقد فسَّر القرآن الكريم تلك الآية، فقال: «جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ» [سبأ: ١٥]، وكان لهم وادٍ عظيم تأتيه سيول كثيرة أقاموا عليها سدًا منيعًا مُحكمًا ليكون مجمعًا للمياه في مأرب، ثم يتحكمون في صرف هذه المياه على مزروعاتهم وبساتينهم حتى صارت كما صورها القرآن «جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ» [سبأ: ١٥] يسير الرجل أو المرأة فتكون البساتين عن يمينه وشماله وتقع مساكنهم متوسطة بين الزروع والثمار.
ونقل ابن كثير - رحمه الله - وغيره من أهل التفسير والسير في ذلك أخبارًا بديعة منها ما ذكره قتادة رحمه الله «أن المرأة من قوم سبأ كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل (وعاء تجمع فيه الثمار)، فيتساقط فيه ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه وجودته». ولم تكن النعمة متمثلة فقط في كثرة الزروع والثمار وكثرة الأمطار ووفرة المياه، بل كانت كذلك في سلامة البيئة من الآفات كما ذكر غيرُ واحد من مفسِّري السلف أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب والبعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام؛ وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج، ولعل هذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: «كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ» [سبأ: ١٥].
فالبلدة الطيبة تشمل جودة التربة، وحسن الهواء، ووفرة الزروع والثمار والحياة، وقيل ذلك وبعده بركة الرب الغفور، وهذه البركة تجعل القليل كثير، وتجعل الكثير طيبًا دائمًا بفضل الله ورحمته، واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: «وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» [الأعراف: ٥٨]، هذا وإذا ذهبت البركة صار الكثير قليلاً، والجيد رديئًا، والاجتماع فُرقة والنعيم عذابًا، وهذا الذي حدث بقوم سبأ بسبب ذنوبهم.

٢- قال الله تعالى: «فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ» [سبأ: ١٦].
لما أعرض القوم عن منهج الله، وكذبوا رسله، وكفروا بنعمته صارت النعم نقمًا عليهم، ونزعت البركة من زروعهم وثمارهم، وسلَّط الله عليهم بذنوبهم السيل الجارف الشديد الذي دمر السدَّ، وجرف كل شيء في طريقه، وصارت الثمار الكثيرة الطيبة ثمارًا قليلة ذات طعم مُرٍّ، وصارت بعض الأشجار نوعًا من الطرفاء الذي لا يثمر وبقي لهم قليل من شجر النبق، «ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الأنفال: ٥٣].
وقد تحدث بعض المفسرين عن أسباب حدوث السيل وقيل من بين الأسباب: أن الجرذان هي سبب خراب السد، وقد وجدوا ذلك في بعض كتبهم، فكانوا يرصدون السنانير (القطط) عند السد للقضاء على الجرذان (الفئران) ومهما يكن من أمر فإن الله إذا أراد بقوم سوء فلا مرد له، وقد يُسخِّر له أضعف الأسباب؛ حتى يتبين مدى ضعف الطُّغاة أمام أضعف جند الله، وصدق الله حين قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ» [الرعد: ١١]، وإن صحت قصة انهيار السد بسبب فأرة فما أضعف الطغاة أمام أصغر جند الله.
٣- قوله تعالى: «ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ» [سبأ: ١٧]، قال ابن كثير رحمه الله: «قال الحسن البصري: صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور». وقال ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه: جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسُّر في اللذة، قيل له: ما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف المرء لذة حلالاً إلا جاء ما ينغِّصه إياها. اهـ.
فالذي أرسل عليهم سيل العرم وبدل أحوالهم هو الله سبحانه الذي أنعم عليهم وهم في حال شكرهم، فإذا كان الله قد جعل لهم آية في النعيم، فكذلك جعل لهم ولغيرهم آية في العذاب الأليم، والله سبحانه هو المتفرد في تصريف أحوال عباده، وهو الذي يغيِّر أحوال عباده ويصرِّفها بين الرجاء والشدة والأمن والخوف، فسبحان مالك الملك مدبِّر الأمر يعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل وهو على كل شيء قدير، فهل نتعلم الدرس ونقرُّ إليه سبحانه وتعالى في كل أحوالنا نشكر في السراء ونصبر في الضراء، ذلك هو محض الإيمان كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن، كل أمره له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» رواه مسلم.
جعلني الله وإياكم من المؤمنين، وللحديث بقية إن شاء الله.

باب السيرة

نظرات في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

شجاعة القلب المعمور بالإيمان

إعداد / جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

نتابع حديثنا مع سيرة حبيبنا؛ مستلهمين منها العبر والدروس، فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وحينما يمتلئ القلب حكمة وإيمانًا لا يظل هذا الإيمان حبيسًا في ذلك القلب، إنما يشع نورًا حول صاحبه، يضيء للسالكين طريقهم، خاصة إذا كان هذا القلب قلب نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يتبع هذه الإضاءة عمل صالح يقتدي به كل من أراد أن يتحلى بالشجاعة في قول الحق والدفاع عنه، وتبليغه للناس صابرًا محتسبًا على ما يلقاه من الأذى، متخلقًا بالخلق الجميل والسلوك النبيل أمام مَن هم محل دعوته، وكلما كان الإيمان قويًا كلما كانت ثمراته السلوكية أبرز ظهورًا، وأعظم تأثيرًا، وهكذا كان سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

صبيحة الإسراء إلى بيت المقدس

قالت أم هانئ رضي الله عنها: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغَلَس، فجاء وأنا على فراشي، فقال: شعرت أني بتُّ الليلة في المسجد الحرام، يعني يريد إخبارها بذلك في صورة سؤال، لجذب انتباهها، يقول: فأتاني جبريل، فذهب بي إلى باب المسجد، فإذا بدابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، مضطرب الأذنين، فركبتُ وكاد يضع حافر مَدّ بصره، إذا أخذني في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه، وإذا أخذني في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه، وجبريل لا يفوتني (يعني: لا يتركني) حتى انتهينا إلى بيت المقدس، فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها، فنُشِر لي رهط من الأنبياء، منهم إبراهيم، وموسى، وعيسى، فصليتُ بهم وكلمتهم، وأُتيت بإناءين؛ أحمر وأبيض (يعني بالأحمر: الخمر، وبالأبيض: اللبن)، فشربتُ الأبيض، فقال لي جبريل: شربتَ اللبن وتركتَ الخمر؛ لو شربتَ الخمر لارتدت أمتك. ثم ركبته، فأتيت المسجد الحرام (يعني: أثناء العودة)، وصليت به الغداة «يعني صلاة الفجر».

قالت أم هانئ: فَعَلقْتُ بردائه وقلت: أنشدك الله يا ابن عمي أن تحدِّث قريشًا بهذا فيكذبك من صدقك، فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدي، فارتفع عن بطنه، فنظرت إلى عُكَنه (وهي ما انطوى وانثنى من لحم بطنه) فوق إزاره كأنها طيُّ القراطيس (تعني: كأنها صفحات كتاب مطوية حُسنًا وبهاءً)، فإذا نور ساطع عند فؤاده، كاد يخطف بصري، فخررتُ ساجدة، فلما رفعتُ رأسي إذا هو قد خرج، فقلت لجاريتي نبعة: ويحك اتبعيه فانظري ماذا يقول، وماذا يُقال له.

فلما رجعت نبعة أخبرتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى نفر من قريش في الحطيم (الحِجْر عند الكعبة) فيهم المطعم بن عدي، وعمرو بن هشام (أبو جهل) والوليد بن المغيرة، فقال: «إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة (الفجر)، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنُشر لي رهط من الأنبياء، منهم إبراهيم، وموسى وعيسى، وصليت بهم وكلمتهم.

فقال عمرو بن هشام (أبو جهل) كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال: أما عيسى، ففوق الرَّبْعَة (يعني فوق المتوسط) دون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد، أشعر تعلوه صُهْبَة (وهو البياض بحمرة)، كأنه عروة بن مسعود الثقفي، وأما موسى فضخم آدم (أسمر) طِوَال (طويل) كأنه من رجال شنوءة (أسم قبيلة) متراكب الأسنان (ليس بينها فواصل) مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس، وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي، خَلقًا وخُلقًا.

فضجوا وأعظموا ذلك، فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أَمَمًا (قريبًا مقبولًا) غير قولك اليوم، أما أنا فأشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، نصعد شهرًا، ونحدر شهرًا، تزعم أنك أتيته في ليلة، واللات والعزى لا أصدقك، وما كان الذي تقول قط (يعني لا يمكن أن يحدث). وكان للمطعم بن عدي حوض على زمزم أعطاه إياه عبد المطلب فهدمه وأقسم باللات والعزى لا يسقي قطرة أبدًا، فقال أبو بكر: يا مطعم، بئس ما قلت لابن أخيك، جَبَهْتَه وكذبته، أنا أشهد أنه صادق. فقالوا: يا محمد، فصف لنا بيت المقدس، قال: «دخلتُ ليلاً وخرجت منه ليلاً». فأتاه جبريل بصورته في جناحه، فجعل يقول: بابٌ منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا. وأبو بكر يقول: صدقت، قالت نبعة: فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ: يا أبا بكر، إني قد سميتك الصدِّيق.

قالوا: يا مطعم، دعنا نسأله عما هو أغنى لنا من بيت المقدس، يا محمد؛ أخبرنا عن عيرنا (الإبل التي كانت ترعى في طريقه)، فقال: أتيت على عير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهت إلى رحالهم، ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت الناقة منه، فاسألوهم عن ذلك. قالوا: هذه والإله آية، قال: ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جوالق مخطط ببياض (وهو ما يوضع فيه المتاع ليحمله البعير)، لا أدري أكسر البعير أم لا، فاسألوهم عن ذلك، قالوا: هذه والإله آية، قال: ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم، يَقْدُمها جمل أورق (وهو الأبيض الذي فيه سواد)، وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية (طريق جبلي)، فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة فيما قال. [أخرجه الحافظ أبو يعلى بسنده، وذكره الحافظ الهيثمي مختصرًا من حديث ابن عباس وقال: رجال أحمد رجال الصحيح، وانظر المطالب العالية لابن حجر].

وأخرج الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سُمي أبو بكر «الصديق». [صحح إسناده الحاكم وأقره الذهبي. المستدرك ٣/٦٢].

العبرة من القصة

وهذا هو مقتضى التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به، وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه، وألا تكون عبادةٌ إلا بما شرع عليه الصلاة والسلام.

هذا النبي الذي ضرب مثلاً فذًا في الشجاعة العالية بمواجهة المشركين بأمر تنكره عقولهم، ولا تدركه تصوراتهم، ولم يمنعه من الجهر به الخوف من تكذيبهم واستهزائهم، وهذا من الصدع بالحق في وجه فلول الكفر وجحافل الشرك التي تصدّ عن سبيل الله، وتعارض دعوة أنبيائه ورسله وأتباعهم، فمن هذا الموقف العظيم لرسولنا صلى الله عليه وسلم يستفيد الداعية بيان الحق وتوصيله للناس، لا يخاف صدهم ومكرهم، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصبر على ما يلاقيه منهم: «وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾» [سورة العصر].

إن الذي رحل هذه الرحلة العلوية إسراءً ومعراجًا، ورأى من آيات ربه الكبرى ليرى العالم السفلي الأرضي نقطة صغيرة في بحر ما رآه البصر والفؤاد، فكيف يكون حجم ثلة المشركين في هذه النقطة، إنهم لا يمثلون شيئًا، ولذلك لم يأبه النبي صلى الله عليه

وسلم بما سيواجهونه به، بدليل أنه أخبرهم قبل أن يخبر أصحابه، ولم يشأ أن يستقوي بأصحابه قبل إخبار المشركين ومواجهتهم؛ لأنه استقوى بربه فامتلأ قلبه شجاعة وإقدامًا فبلغهم بما رآه، وثبته وأيده في ذلك مولاه، «بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ» [آل عمران: ١٥٠].

ومن هنا يستمد المؤمن إيمانه بأن هذه الحياة الدنيا وطولها وعرضها ليست إلا يومًا أو بعض يوم إذا ما قرنت بعظمة مخلوقات الله جل وعلا من السماوات والأرض وما فيهن وبينهن، وبما أخبر الله تعالى به عن يوم القيامة وأهواله، ونعيمه وجحيمه، لا شك أن من امتلأ قلبه بهذه المشاعر سيحتقر كل ما في الدنيا من مظاهر العظمة وأسباب القوة التي ينخدع بها قصار النظر، الخاوية قلوبهم من نفحات الإيمان الحية التي تهز المشاعر وتتحكم في السلوك، وما إيمان أبي بكر إلا من هذا المنطلق، فإنه لما بلغه الخبر ذهب إلى ما هو أبعد من فحوى الخبر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره بخبر يأتي من السماء في ساعة من الزمن؛ في غدوة أو روحة، وإذا كان الأمر كذلك فالإيمان بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى والعودة في رحلة ربانية في ليلة أولى بالتصديق، وبهذا استحق لقب الصديق رضي الله عنه.

الدعوة ليست مقتصرة داخل المساجد

والقلب العامر بالإيمان لا يقتصر في تبليغ ذلك الفيض في داخل المساجد وإنما يخرج إلى الناس لينشر دعوة الله تعالى بين الناس في محالهم.

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا، إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. [مسند أحمد ٤٩٢/٣، وابن أبي شيبة].

وعن الحارث بن الحارث الغامدي قال: قلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم قد اجتمعوا على صابئ لهم، قال: فنزلنا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل، والإيمان به، وهم يردون عليه ويؤذونه، حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، وأقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحًا ومنديلاً، فتناول منها وشرب وتوضأ، ثم رفع رأسه، وقال: يا بنية، خمّري نحرك عليك ولا تخافي على أبيك، قلنا: مَنْ هذه؟ قالوا: زينب ابنته. [أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٦ وقال: رجاله ثقات].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الدعوة والدعاة وقدوتهم ينتقل بين أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام، ولا يمنعه صدودهم وجفاؤهم وسخريتهم من أن يواصل دعوته إياهم.

لكن أهل الباطل ودعاته يتفانون في الدفاع عن باطلهم، وقد تكون معالم باطلهم أصنامًا من الأشجار والأحجار، وقد تكون أوثانًا من البشر الذين طغوا في البلاد، إما بدافع قوتهم المادية وتمكنهم في الأرض، أو بدافع من بروزهم في المجال الفكري، فيجتمع إليهم كل من قصر همه وطموحه على منافع الحياة الدنيا، وغفل عن نعيم الآخرة وأهوالها، فقد ينخدع المسئول بما له من سلطة وهيمنة، ويرى أنه أعلى ممن هم تحت إدارته فيطعن ويتجبر، وقد يوصله طغيانه إلى رد شريعة الله، واختيار القوانين البشرية التي تلائم هواه.

وقد ينخدع المفكر بفكره إذا لم يحجزه إيمان صادق أو عقل راسخ، فيتطاول على خالقه وخالق كل شيء جل جلاله، أو على من هم فوق البشر العاديين، وهم الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، أو على ما دعوا إليه من الهدى، فيرى الإعجاب بهؤلاء المفكرين من صرعى الشبهات الذين يتخبطون هنا وهناك بحثًا عن الحق، والحق أقرب شيء إليهم، ولكنهم يريدون أي فكرة بشرية جديدة ليستغنوا بها عن الدين الإلهي العظيم الذي ورثوه فأصبح مألوفًا لديهم، وأصبحوا في نظرهم مغمورين، لأنهم لم يكونوا فيه من الرؤوس ولا من البارزين، فهم يضربون الأرض بحثًا عن كل فكرة تقاوم هذا الدين، وإن كانوا ممن يجهل حقيقتها وأهدافها.

فليخرج الدعاة إلى الله لمواجهة هؤلاء ودعوتهم في مجالسهم وأنديتهم، ويجاهدوهم بالقرآن جهادًا كبيرًا، فقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته كما رأينا، ولم يجلس في بيته أو في المسجد الحرام فقط ينتظر الناس أن يأتوا إليه، بل خرج إلى القبائل في منازلهم، وغشيهم في مجالسهم ونواديهم يدعوهم إلى الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

بيان أنصار السنة حول الاستفتاء على الدستور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: وبعد

فإن مصرنا اليوم تمر بمرحلة عصيبة في تاريخها؛ حيث جرى ما شهدناه جميعًا من أحداث مؤسفة، سالت بسببها الدماء، وجُرح البعض الآخر، وتعطلت المصالح، ونال ذلك أيضًا من بعض المنشآت العامة والخاصة.

وفي هذه المرحلة المهمة انتهت الجمعية التأسيسية من وضع دستور للبلاد، تمت صياغته، ورُفع لرئيس الجمهورية الذي دعا بدوره إلى الاستفتاء عليه يوم السبت الموافق ٢٠١٢/١٢/١٥م، وبعد اطلاعنا على هذا الدستور رأينا عليه بعض التحفظات، ولم يكن هو المأمول لدينا والذي كنا نتطلع إليه، ومع هذا ونظرًا للظروف التي تمر بها البلاد؛ ندعو جموع الشعب المصري إلى الموافقة عليه؛ تغليبًا للمصلحة العامة، وحرصًا على قيام مؤسسات الدولة بأعمالها المتعددة، كما ندعو الجميع إلى الاجتماع على البر والتقوى، والاعتصام بحبل الله تبارك وتعالى، والسعي في خدمة هذا الوطن؛ كلٌّ في موقعه، حتى تتقدم البلاد، ويسعد العباد، وينتشر الأمن والاستقرار، ويعم الرخاء والازدهار.

وبالله التوفيق

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

د. عبد الله شاكر الجنيدي



باب الأسرة

استثمروا في تربية البنات

إعداد/ د. أبو الفتوح عقل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

قلت في مقال سابق: إن الدور التربوي الذي يؤديه رب الأسرة لا يمكن لأي إنسان آخر أن يقوم به أو أن يحقق النجاح الذي يحققه، لما لأبنائه من منزلة عاطفية فطرية عنده، فضلاً عن مصداقية القوامة والريادة التربوية، مما يجعله الرجل الأول في حياة أبنائه، ولهذا ننصح كل والد أن يحسن استثمار هذه العلاقة الربانية في توجيه وتربية أبنائه، ولا يتأتى له ذلك إلاّ إذا توفرت مصداقية تربوية أخلاقية تكفل له منزلة متميزة في صدور أبنائه، فإذا ما تم له ذلك أصبح مؤهلاً للقيام بأهم مهامه في أسرته ومملكته الصغيرة، وخير النصيحة تلك التي تصدر من حبيب لحبيب.

ولا أعلم أحدًا أحب إليّ من أبنائي، ولا أحب إليهم مني، ولا شيء أقوى في تحقيق ذلك من تنشئة الأبناء على قيم الإسلام الحنيف وآدابه الذي نشرف جميعًا بالانتماء إليه، فإذا ما قصرنا الحديث في هذا المقال على تنشئة وتوجيه الفتاة التزامًا بعنوان المقال؛ فإننا نؤكد على ما سبق ذكره من أن الأب يستطيع أن يعوض ابنته العجز التربوي والفكري الذي خرجت به من المرحلة الثانوية بل من المرحلة الجامعية، والمفترض فيمن يقوم بهذا الدور أن يتبوأ موقعًا مكينًا كما أسلفنا عند ابنته حتى تحسن الفتاة التلقي عنه بثقة واطمئنان، وهي في غير حاجة إلى القسم والبرهنة لأن المتحدث أبوها وموضع ثقتها ومحل عزها وفخرها ورصيدها الوجداني الأول، وأول من عرفت من الرجال وهو الذي عاشت معه في منزل واحد، وشاهدته يمارس أمور حياته صادقًا مع أهل بيته صادقًا مع الناس لا يتناقض مع نفسه في القول أو العمل مهما كان الظرف الذي يعرض له، ومن شأن ذلك كله أن يكسبه أهلية النصح والإرشاد؛ مما يتيح له القيام بدوره الإصلاحي في بيته، وخارجه، وذلك يفسر لنا المثل الإنجليزي: «كل فتاة بأبيها معجبة»، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إن من أسعد الاوقات تلك التي يمضيها الرجل بين أبنائه عندما يجري حوارًا معهم، أو يطرح قضية للمناقشة فيجد لديهم ولديها من الفكر المستنير المؤسس على شرع الله ما يسعده ويطمئن فؤاده، ويبشره بمستقبل طيب لغرسه الطيب الذي نما وترعرع، وبدا يعجب الزراع؛ عندها ستصل سعادة رب الأسرة إلى ذروتها.

ضرورة الحوار الأسري الهادف

ومما يزيد سعادته لغة الحوار الأدبية الراقية التي اعتمدت على قاموس لغوي راق يعود في أصوله إلى لغة الوالدين؛ حيث كان كلاهما حريصًا فيما مضى على استعمال اللغة المهذبة والأساليب الراقية أمام الأبناء لأنهما يعلمان أنهما يمثلان

المصدر الأول للقاموس اللغوي كما كانا حريصين كذلك على تنقية ذلك القاموس من شوائب الشوارع وشوارد مفردات السوقة.

أقول ذلك وأنا أقدر قيمة المتعة السامية التي يشعر بها الوالدان وهما يناقشان أبناءهما، ففي مثل هذا الجو الجميل تحيا القيم والمثل التربوية العليا وتشق طريقها في سلاسة ويسر إلى أفئدة أبنائنا الذين يحلو لهم أن يحاوروا، بأن يطرحوا ما يشاءون من القضايا والأسئلة وما يعترضهم ويشكل عليهم من علامات الاستفهام الحائرة، وهو خير يصعب تحقيقه في مدرجات الجامعة أو في فصول الدراسة الإعدادية أو الثانوية.

في مثل هذا الجو الجميل تستقر القواعد والأصول وتعاليم شرع الله تبارك وتعالى وما وصية لقمان لولده إلاّ مثال لذلك بعد أن بدأها بأسلوب التدليل والتقريب: « يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ » [لقمان: ١٣]، وفي مثل هذا الجو كذلك نحبذ أن يجلس الوالد مع كبرى بناته ليقدم وصاياه الغالية بما يتناسب مع المرحلة السنية التي تعيشها الفتاة، ولا أظن أن جلسة أخرى تعدل في قيمتها ونبل مقاصدها هذه الجلسة الأبوية التربوية الروحية السامية.

وصايا غالية لابنتي

وأكاد أسمعه يوصيها بمن خطبها وبأهله خيرًا ويقول: اعلمي يا عزيزتي أن رأس مال الزوج دينه وخلقه، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن هذا الشاب ومنذ نشأته بيننا ما علمنا عنه إلا خيرًا وكثيرًا ما نراه يؤدي الصلوات الخمس معنا في المسجد، وقد سألنا عنه فأجمع الناس على صلاحه وتقواه، وفوق هذا وذاك فهو اختيار الله عز وجل الذي يقول: «وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ» [القصص: ٦٨]، والله ما أراد الله بعبده إلا خيرًا، ولا يأتي من قبله أبدًا إلا خيرًا، فارضي يا ابنتي بما قسم الله لك، واحمدي الله على فضله وإحسانه، وسلي ربك الكريم أن يرضيك بما قسم واعقدي العزم أن تكوني عونًا له في أمور دينه ودنياه، واعلمي يا حبيبتي أن المودة والرحمة التي وعد الله بها الزوجية تتوقف على إخلاص كل طرف للطرف الآخر.

وأود أن ألفت نظرك إلى ضرورة الارتقاء بالحياة الزوجية إلى المستوى الذي تمثله هذه الحياة السامية في البيت المسلم، فإني أرى بيت الزوجية أشبه بدار العبادة يتنافس فيها المتنافسون في تحصيل الأجر والثواب في بيت الزوجية بما يبذل الزوجان من أعمال الطاعة والبر، وبما يقدم كل منهما من أساليب الولاء والوفاء لصاحبه، ولتقم حياتكم على الاحترام المتبادل ورغبة كل منكما الصادقة في إسعاد الآخر.

الوصية بوالدي الزوج

ثم أوصيك يا ابنتي خيرًا بوالديه، إنهما يستحقان منك العون والتوقير، بل إن وجودهما فرصة ذهبية لتحسني إليهما وترفعي رصيدك عند الله تبارك وتعالى من الأجر والثواب ولتردي لهما بعض الجميل بعد أن أفنيا حياتهما من أجل ولدهما حتى قدماه لك على طبق من ذهب رجلاً كريمًا متعلمًا ملء السمع والبصر، ولا تنسي- رحمك الله - أن الزوج يَسُرُّه كثيرًا أن يرى والديه محل اهتمام وتقدير، وأنت أولي الناس بذلك في هذه المرحلة، بل إن كثيرًا من الأزواج يتسامحون فيما يقع من التقصير في حقهم إذا ما رأوا آباءهم وأمهاتهم موضع عناية واهتمام من قبل الزوجة التي تتبوأ بذلك مكانًا مرموقًا لدى زوجها إذا كان شأنها كذلك مع والديه، هذا فضلاً عن التكريم الذي ينتظرك وأنت في مثل سنها: «فالبر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، افعل ما شئت كما تدين تدان».

هذا ما أدعو إليه إخواني وهم الأولى بذلك قبل غيرهم، فإذا ساندت الزوجة زوجها وأيدته فيما يقدم لأبنائها، وما خص به ابنتها من النصح والتوجيه أتت مثل هذه الجلسات ثمارها المرجوة وعاشت كريمتهما عيشًا سعيدًا كريمًا.

والحمد لله رب العالمين.

معنى التربية



إعداد/ د/ أحمد فريد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أطيب المرسلين، أما بعدُ:

إن كلمة التربية مأخوذة من ربا يربو، بمعنى نما ينمو، أو يزيد، إذ كان العرب في القديم يستخدمون لفظ التأديب، وكانوا يطلقون على المعلم اسم «المؤدب».

ولقد ورد مفهوم التربية بمعناها الحديث في القرآن الكريم في موضعين اثنين:

أحدهما: في سورة الإسراء حيث يقول الله تبارك وتعالى: «وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» [الإسراء: ٢٤].

والثاني: في سورة الشعراء حيث يقول الله سبحانه: «قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» [الشعراء: ١٨].

والتربية بوجه عام هي: تشكيل اتجاهات الأفراد وفق قيم معينة، وإعانتهم على تكوين النظرة السليمة إلى الحياة، وهي تقترن بالتعليم الذي يصقل ملكات هؤلاء الأفراد وينمي مواهبهم واستعداداتهم في شتى المجالات.

والتربية الإسلامية معناها: تنمية ملكات الفرد وقدراته على اختلافها من أجل بلوغ كماله العقلي والنفسي، وتنمية قدرات المجتمع كذلك من أجل تحقيق تطور أفضل، وتقدم اجتماعي أكمل وفق المبادئ والقيم الإسلامية، ولا يجوز في الإسلام أن تقتصر التربية على تلقين الإنسان المعلومات، أو اكتساب المهارات الفنية، وإنما تهدف التربية إلى أبعد من ذلك، وهي تهدف إلى تهذيب الأخلاق سواء في ذلك أخلاق الأفراد أو أخلاق المجتمع، ومن الواضح أن الاقتصار على العلم المادي وحده ينحرف بالفرد والمجتمعات إلى شرور لا نهاية لها، فلا بد إذًا من أن يقترن التعليم بالأخلاق.

ونقل أبو الحسن الندوي عن «جون ديوتي» هذا التعريف العام للتربية:

إن التربية ليست إلا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالإقناع الفكري الدائم على الثقة والاعتزاز، وتسليحها بالدلائل العلمية إذا احتيج إليها، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة، ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة، وإن أفضل تفسير لنظم التربية هي أنها: السعي الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة الذي ورثه هؤلاء الآباء من أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقديم والتوسع في هذه الثروة الموروثة. [محاضرات الجامعة الإسلامية (ص٣٦٦- ٣٦٧)].

ويقول كذلك: هي وظيفة اجتماعية، بمعنى أنها من ضرورات كل جماعة إنسانية تريد أن تحافظ على بقائها، وتتطور في سلم الرقي، وأنها يجب أن تتم في ضوء فلسفة اجتماعية، وفي مواقف اجتماعية كذلك، وأن الغاية من التربية هي إنشاء مواطنين يقومون بالوظائف الاجتماعية، التي منها الإبقاء على الثقافة وترقيتها وإصلاح

عيوبها(محاضرات الجامعة الإسلامية ص(٣٧٩- ٣٨٠) بتصرف).

التربية في المنظور الشرعي

فهذا مفهوم عام للتربية عند جميع الأمم والشعوب، أما التربية بالمنظور الإسلامي الذي نقصده ونهدف إليه وننادي به فهي العمل على بناء أفراد بعقائد صحيحة، ومفاهيم إسلامية نقية وأخلاق زكية، وأعمال مرضية، وتجهيزهم كلبنات لإعادة بناء المجتمع المسلم.

وبتعبير أخصر وأقرب: تربية جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم، يعتقدون معتقدهم، وينهجون نهجهم في فهم الكتاب والسنة، ويقتدون بهم في أخلاقهم وأعمالهم وسنتهم.

فالواجب على الآباء والمربين أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتمسوا خطاه ويقتفوا أثره.

كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام؟ وكيف علمهم القرآن؟ وكيف رقاهم في درجات الإيمان؟ حتى صاروا ببركة تربيته صلى الله عليه وسلم قممًا شامخة في سماء المجد والرفعة، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والجهاد والجلاد، والصيام، والقيام، والدعوة لدين الملك العلام، كانوا على أعلى مستوى من الإخلاص والمحبة لله عز وجل والتوكل عليه والرضا به، فبارك الله عز وجل في دعوتهم، وسارت شمس الإسلام ببركة جهادهم، وصبرهم تنير المعروف من الأرض، من مات منهم أفضى إلى موعود الله عز وجل له بالجنة، ومن عاش صار أميرًا على قطر من الأقطار، أو مصر من الأمصار، وبقيت الأمة ببركة جهادهم وبذلهم منيعة الجانب، شامخة البنيان راسخة الأركان حتى خرج بعض الناس عن منهاجهم، وظهرت البدع والفِرق، وسابق بعض الناس إلى الدنيا والدرهم والدينار، وضعفت الأحوال الإيمانية، والمفاهيم الصحيحة حتى صارت بلاد المسلمين كلأ مباحًا لكل ظالم ومعتد، ومرتعًا خصيبًا لترويج الأفكار الهدامة ونشر المذاهب الباطلة، فعشش في بلاد المسلمين دعاة العلمانية والإباحية، فصار الإسلام غريبًا في بلاده، مطاردًا من أهله وعشيرته، وهل بعد هذه الغربة غربة؟! وبعد البلاء بلاء؟ فإلى الله المشتكى.

فلا شك في أن التربية هي الخطوة الأولى لبناء المجتمع المسلم، وإقامة الخلافة الإسلامية التي بشر بعودتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي حين تعود لا بد أن تكون على منهج النبوة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فعلى الدعاة إلى الله عز وجل أن يبدءوا بما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينتهوا - بإذن الله - إلى ما انتهى إليه من عز الإسلام والمسلمين، فما فارق النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا حتى قرت عينه بنصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وعمَّ الإسلام جزيرة العرب، ثم فتح الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان البلاد شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، حتى استنار أكثر المعروف من الأرض بدعوة الإسلام، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وسيبلغ - بإذن الله - دينه ما بلغ الليل والنهار، فلا بد من معرفة المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم للنصر والتمكين، والوصول إلى رضا رب العالمين، ثم تربية أجيال الصحوة على ما تربى عليه الصحابة الكرام، وقبل البدء بهذه التربية ينبغي أن يعلم أن الصحابة كانوا في زمن لم تكن فيه بدع ولا أهواء، وإنما ظهرت البدع في آخر عصرهم، مصداقًا لقول للنبي صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا». [أحمد (١٦٦٥)، وصححه الألباني].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة». [الترمذي (٢٦٤٠)، وهو في الصحيحة (٢٠٤)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم».

وإنما ظهرت البدع في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وقد نادى علماء العصر وأئمة المسلمين بما يسمى بمنهج «التصفية والتربية»، فلا بد من صحوة علمية راشدة، تقوم بتصفية التراث الإسلامي بما علق به عبر القرون والأجيال، ثم تربية أجيال الصحوة على الإسلام الخالي من البدع والخرافات والمذاهب الباطلة والأحوال العاطلة على الهدي النبوي المبارك وعلى منهج السلف رضي الله عنهم.

قال العلامة الألباني رحمه الله: «لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: التصفية والتربية.

وأردت بالأول منهما أمورًا:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة الصحيحة ونحوها.

والثاني: تصفية الفكر الإسلامي من الاتجاهات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير والفقه والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات المنكرة.

وأما الواجب الآخر: فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكر تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة الأظفار، دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا شك فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة التي يهمها حقًا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كل في مجاله واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متوكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول المسيح، صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأننا سنقيم دولتنا، فذلك محال بل وضلال؛ لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية معًا، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» [الرعد: ١١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». [رواه أبو داود (٣٤٤٥)، وصححه الألباني بطرقه في الصحيحة (١١)].

من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم».

وهذا كلام جميل جدًا، ولكن أجمل منه العمل به: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [سورة التوبة: ١٠٥].

إلى أن قال: ثم لا بد لك مع ذلك من العناية بتربية نفسك، ومن يلوذ بك، تربية إسلامية صحيحة، لا شرقية ولا غربية، وتخليقها بالأخلاق المحمدية، وبذلك يصلح قلبك، وتسعد في الدنيا قبل الآخرة، وما الأمر المهم الذي ينشده دعاة الإسلام إلا أثر من آثار هذه السعادة، إذا أخذوا بأسبابها التي تجمعها كلمتا: التصفية والتربية.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» [الأنفال: ٢٤] (سلسلة الأحاديث الضعيفة، مقدمة المجلد الأول). انتهى.

فهذا شيخ المحدثين - وقد عاصر الدعوات المعاصرة في أكثر من نصف قرن من الزمان - يرى أن السبيل إلى عودة الإسلام لا بد أن يكون على أساس تنقية الإسلام أولًا من العقائد الباطلة، والآراء الفقهية التي لا تستند على صحيح من الشرع المتين، ثم تربية شباب الصحوة على هذا الدين الخالص والإسلام المصفى، فنكون بذلك قد اهتدينا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

موافقة الأشعري لأئمة السلف في إثبات صفات الخالق بلا تفويض ولا تأويل

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

سبق لنا الحديث عن موافقة الأشعري - في إثبات صفات الله تعالى وحملها على ظاهرها دون تفويض لمعناها، ولا تأويل ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تكييف - لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وعرفنا كيف أن موقف الأشعري في آخر ما استقر عليه أمره لم يخرج عما ورد في الأحاديث وأقوال الصحابة قيد أنملة.. ونقرر هنا أن حال الأشعري بالنظر لمن جاء بعد الصحابة من التابعين وتابعيهم بإحسان كان كذلك.. ونذكر من آثارهم:

ما جاء عن كعب الأحبار (ت ٣٢) قال: قال الله في التوراة: (أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبّر أمور عبادي، لا يخفى عليّ شيء في السماء ولا في الأرض).. وعن مسروق بن الأجدع (ت ٦٣) أنه كان إذا حدَّث عن أم المؤمنين عائشة يقول: (حدثتني الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما حبيبة حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من فوق سبع سموات).. وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٦)، ومثله عن مقاتل والثوري وغيرهما، في تفسير: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ) (المجادلة/ ٧): (هو الله على العرش وعلمه معهم)، ولفظ ابن عبد البر فيما عليه «علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تأويل هذه الآية: (هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم أحد في ذلك يحتج بقوله)»..

وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٧) من قوله: قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟!، قال: (إذا رضيت استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم).. وعن سليمان بن طرخان التيمي (ت ١٤٣) قال: (لو سُئلت أين الله؟ لقلت في السماء) [اجتماع الجيوش ص٤٢، ٤٣ والعلو ص ٩٢، ٩٦، ٩٩ والتمهيد ٤/ ٥٣ وغيرها].

ومن آثارهم في ذلك ما جاء أيضاً في قول الوليد بن مسلم (ت١٩٥) فيما نقله عنه الذهبي في العلو ص١٠٤: «سألت الأوزاعي والليث ومالكاً والثوري عن هذه (الأحاديث التي فيها الرؤية، وغير ذلك) - وفي رواية: (التي فيها الصفات) - فقالوا: (أَمْضِهَا بلا كيف)»، وفي رواية له ذكرها البيهقي: «أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيفية».

وكما هو معلوم فإن جميع من ذُكروا، هم من أئمة الدنيا وكبار تابعي التابعين، يعني: ممن عناهم النبي بقوله: (خير أمتي قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلونهم) صحيح البخاري.. فمالك (ت ١٧٩) هو إمام أهل المدينة والحجاز، والثوري (ت ١٦١) إمام أهل الكوفة والعراق، والأوزاعي (ت١٥٧) إمام أهل دمشق والشام، والليث (ت ١٧٥) إمام أهل مصر والمغرب..

إثبات بلا تكييف وتنزيه بلا تعطيل:

وقولهم (أَمِرُّوهَا كما جاءت): «نفي للتأويل، فإنه التكييفَ الذي يزعمه أهل التأويل؛ فإنهم هم الذين يُثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب عن صفته التي أثبتها.. وأما أهل الإثبات

فليس أحد منهم يكيّف ما أثبته الله لنفسه حتى يكون قول السلف (بلا كيف) رداً عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل - الذي يتضمن التحريف والتعطيل - تحريف اللفظ وتعطيل معناه»[اجتماع الجيوش ص ٧٧].

فجاء قولهم: (أَمِرُّوهَا) رداً على المعطلة والمؤولة، وقولهم: (بلا كيف) ردّ على المشبهة والممثلة والمجسمة، ويعني الإمرار على ما تقرر: الإثبات مع ترك الكلام عن حقيقة الصفات وكنهها، وكيفية قيامها بذاته تعالى، فإن هذا مما لا سبيل إليه.

وفي لفظ لربيعة شيخ مالك (ت١٣٣) رواها عنه الثوري قال: «كنت عند ربيعة فسأله رجل فقال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/٥) كيف استوى؟ فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، وهو لفظ لمالك.. وفي لفظ آخر صح عن ابن عيينة: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق)»، قال الذهبي ص ١٠٤ تعليقاً: «وهو قول أهل السنة قاطبة، (أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه كما أخبر في كتابه وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أن لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عليه».

مذهب الأئمة الأربعة في إثبات الصفات:

وعن أبي حنيفة (ت ١٥٠) قوله في (الفقه الأكبر) ص ٣: «وله تعالى يد ووجه ونَفْس كما ذكره الله في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنَّفْس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف»..

وعن صاحبه محمد بن الحسن فقيه العراق (ت ١٨٩) فيما رواه عنه اللالكائي في أصول السنة ٣/ ٣٢ وابن قدامة في ذم التأويل ص ١٦، والذهبي في العلو ص ١١٣ وغيرهم، قوله: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله في صفة الرب من غير تفسير - يتعلق بالكيف ويتأولها على غير تأويلها، ويخرجها عن ظاهر معناها كما فعل جهم - ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي وفارق الجماعة، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم - يعني في نفي الصفات وفسرها بما يخرجها عن ظاهر معناها - فقد فارق الجماعة، لأنه وصفه بصفة: (لا شيء)».

وعن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) قوله: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل ابن عيينة ومالك وغيرهما: (الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء، وينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء).. وذكر سائر الاعتقاد».. ولشيخه عالم الكوفة وكيع بن الجراح (ت ١٩٧) قوله في أحاديث الصفات مثل (حمل السماوات على إصبع)، و(قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن): «نسلم بهذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا، ولا لم كذا»[العلو للذهبي ص ١٢٠، ١١٧].

ولأحمد بن حنبل إمام أهل السنة (ت ٢٤١) قوله قبيل موته: «أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل»، وروى عنه ولده عبد الله في كتاب السنة قال: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت، فقال لي أبي: (بل تكلم بصوت، وهذه الأحاديث تروى كما جاءت)»[السنة ص٧٠، ٧١].

دلالة الاستواء والعلو لغة:

وقال إمام العربية الخليل بن أحمد (ت ١٧٥) فيما رواه عنه الذهبي في العلو ص ١١٨: «أتيت أبا ربيعة الأعرابي - وكان من أعلم من رأيت - وكان على سطح، فلما رأيناه

أشرنا عليه بالسلام، فقال: استووا، فلم ندْر ما قال، فقال لنا شيخ عنده: (يقول لكم ارتَفعوا)، قال الخليل الإمام اللغوي: هذا من قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ) (فصلت/ ١١)».. وقال ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة (ت ٢٩١) فيما نقله عنه صاحب العلو ص ١٥٥: «(ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/ ٥): علا».. وعن الحافظ الثقة بشر بن عمر الزهراني (ت ٢٠٧) قوله: «سمعت غير واحد من المفسرين في (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) على العرش ارتفع»[العلو ص ١١٣].. وتلك هي دلالة الاستواء والعلو على ما تقتضيهما لغة العرب، وليس كما ذكر المبتدعة قديماً وحديثاً أنهما بمعنى الاستيلاء وأنه بذاته في كل مكان.

مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين:

عن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) في حديث: (إن الله يحمل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع)، وحديث (إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق)، وحديث (إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن): «هي كما جاءت (بلا كيف) نقر بها ونحدث بها»[العلو ص١١٦].

ومما جاء عن إمام المحدثين علي بن المديني شيخ البخاري ت ٢٣٤ - وقد سئل عن مذهب أهل الجماعة - قوله: «يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله فوق عرشه استوى» [العلو ص ١٢٩].. وبنحوه عن قتيبة بن سعيد عالم خراسان (ت ٢٤٠) قال: «قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه، كما قال جل جلاله: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/٥)».. وبنحوه عن ابن أبي عاصم قاضي أصبهان (ت ٢٨٧)، قال: «جميع ما في كتابنا - السنة الكبير - من الأخبار التي ذكرنا أنه توجب العلم، فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها، فذكر من ذلك: النزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش»[العلو ص١٢٨، ١٤٦].

وجاء في العلو للذهبي ص ١٣٨ ولابن قدامة ص ١١٠ وغيرهما، عن الإمامين الحافظين أبي زرعة الرازي (ت ٢٦٤) وأبي حاتم الرازي (ت ٢٧٧) فيما رواه عنهما عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبهم.. أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى/١١)».

كما جاء عن أبي سليمان الخطابي صاحب معالم السنن (ت ٣٨٨) فيما رواه عنه البيهقي في (الأسماء والصفات) ص ٤٧١، قوله: «ليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة».. وبنحوه ذكر الباقلاني (ت ٤٠٣) في كتاب (الذَّبّ عن الأشعري)، قائلاً: «كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله في صفات الله - إذا صح - من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول: إنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا، كما في الحديث، وإنه مستو على عرشه».. إلى أن قال: «وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تُمَرّ كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل»[العلو للذهبي ص ١٧٤].

ويقول أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥) في كتابه الحجة ٢/ ٤٧٠ - وبعد ذكره لصفات المجيء واليمين والنفس والإتيان واليدين والاستحياء، والدنو والتجلي، والوجه والقدم، والقهر والمكر، وغير ذلك مما ذكر الله في كتابه، وكذا ما ذكره رسوله من أخبار مثل قوله: (خلق

الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده)، و(ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا)، وغيرة الله تعالى، وفرحته بتوبة عبده، واحتجابه برداء الكبرياء، (وكلتا يديه يمين)، وحديث القبضة، والحثيات، ونظرته إلى قلب المؤمن، وغير ذلك مما صح عنه وثبت: «على العبد أن يؤمن بجميع ذلك، ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف، ويُمِرّه على ما أَمَرُّوا ويقف حيث وقفوا، لا يَقول كيف؟ ولِمَ؟، يقبل ما قبلوه ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية.. هذا مذهب أهل السنة وما وراء ذلك بدعة وفتنة».

ويقول سيد الوعاظ عبد القادر الجيلي (ت ٥٦٢) شيخ بغداد في كتاب الغنية ١/ ٧٤: «هو سبحانه مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، محيطٌ علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر/ ١٠).. ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه/٥).. وينبغي إطلاق ذلك الاستواء من غير تأويل.. وكونه تعالى على العرش: مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف».

وكان مما ذكره المقدسي الزاهد الورع عبد الغني بن عبد الواحد (ت ٦٠٠) في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد ص١٤، ٢٩: «اعلم وفقنا الله وإياك.. أن صالح السلف وخيار الخلف وسادة الأمة، اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله، وأنه أحد فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير، لا شريك له ولا وزير، ولا شبيه له ولا نظير، ولا عدل ولا مثل.. فآمنوا بما قال الله في كتابه وصح عن نبيه، وأَمَرُّوه كما ورد من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد شبه أو مثلية، أو تأويل يؤدي إلى التعطيل، ووسعتهم السنة المحمدية والطريقة المرضية».. ثم قال بعد أن ذكر من أدلة الاستواء والوجه ما ذكر: «وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول».

ومن كلام الإمام القرطبي صاحب التفسير الكبير (ت ٦٧١): «كان السلف الأول رضي الله عنه لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تُعلم حقيقته»[تفسير القرطبي ٣/ ٢٧٣٧]..

ومن أقوال الحافظ ابن كثير الشافعي (ت ٧٧٤)، في تفسيره المعروف باسمه ٢/ ٢٢٠: «وأما قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف/ ٥٤)، فللناس فيها مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح؛ مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل».

هذا غيض من فيض مما أورده الأئمة الأعلام في الإثبات المنافي للتفويض والتأويل، وقد تواصلوا فيه على مدار القرون والدهور، فلا تأولوا ولا كيّفوا، ولا أخرجوا صفات الخالق جل وعلا عن ظاهرها إلى المجاز، ولا شبّهوا ولا جسّموا، ولا مثّلوا ولا فوّضوا معاني دلالاتها ولا عدُّوها من المتشابه، وقد وافقهم في كل ذلك أبو الحسن الأشعري - في آخر ما استقر عليه أمره - ووافقوه، فما أشبه ما ذكرناه لهم بما ذكرناه له!! ولله دره ودرهم، فوالله ما صدر جميعهم إلا عن مشكاة واحدة، وما نطقوا إلا بما نطق به الوحي المبين!!.. وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



أحكام الصلاة

الشرط السابع: النية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: وبعد، فأمر النية أمر عظيم، وشأنها مهم وكبير، فهي شرط من شروط قبول العمل، ولا يسلم العبد في دينه إلا إذا سلمت نيته، واستقامت سريرته، واجتهد أن يكون عمله كله خالصًا لله وحده، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك كله ولما للنية من أهمية عظيمة في سائر العبادات، كانت هذه الكلمات عن النية وأهميتها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

النية من شروط الصلاة عند الحنفية والحنابلة، وكذا عند المالكية على الراجح، وهي من فروض الصلاة أو أركانها عند الشافعية، ولدى بعض المالكية؛ وقالوا لأنها واجبة في بعض الصلاة، وهو أولها، لا في جميعها، فكانت ركنًا كالتكبير والركوع. ومذهب الجمهور أرجح.

حقيقتها:

النية لغة: القصد، وشرعاً: عزم القلب على فعل العبادة تقرباً إلى الله تعالى. بأن يقصد بعمله الله تعالى، دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح أو نحوه. وهذا هو الإخلاص.

حكمها:

الْوُجُوبُ فِي كُلِّ مَا يَتَوَقَّفُ صِحَّتُهُ عَلَيْهَا، وَالنَّدْبُ فِيمَا يَصِحُّ بِدُونِهَا؛ فالنية واجبة في الصلاة باتفاق العلماء لتمييز العبادة عن العادة، قال الماوردي: والأصل في وجوب النيَّة ولزومها في العبادات قول الله تعالى مخاطباً نبيه: (فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ) [الزمر:٢]. فقوله تعالى: (فَاعْبُدْ) أمر. وقوله: (مُخْلِصًا) أي: حال كونك عابداً. وقوله: (لَهُ الدِّيْنَ) أي: لتكن عبادتك خالصة لله جَلَّ وعَلا.

ودل على إيجابها أيضاً: قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» [متفق عليه]، ومعنى هذا الحديث أن الأعمال معتبرة بالنيات، وهذا الحديث يتناول سائر الأعمال لعموم الألف واللام. فلا تصح الصلاة بدون النية بحال. والواجب باتفاق الفقهاء استصحاب حكم النية دون حقيقتها، بمعنى أنه لا ينوي قطعها، فلو ذهل عنها وعزبت (غابت عنه) في أثناء الصلاة لم يضر. [الذخيرة للقرافي ١/ ٢٤٠].

والنية لها ركنان؛ أحدهما أن ينوي العبادة والعمل، والثاني أن ينوي المعبود المعمول له؛ فهو المقصود بذلك العمل، والمراد به الذي عمل العمل من أجله، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)، فميز صلى الله عليه وسلم بين من كان عمله لله، ومن كان عمله لمال أو نكاح.. والذي يجب أن يكون العمل له هو الله سبحانه وحده لا شريك له.

أما نيَّة العمل فهي التي يتكلَّم عنها الفقهاء؛ لأنهم إنَّما

يقصدون من النيَّة النيَّةَ التي تتميَّز بها العبادة عن العادة، وتتميَّز بها العبادات بعضها عن بعض. فينوي أن هذه عبادة، وينوي أنها صلاة، وينوي أنها فريضة، أو نافلة، وهكذا، وأما نيَّة المعمول له فهي التي يتكلم عليها أرباب السُّلوك؛ فتذكر في التَّوحيد، وهي أعظم من الأُولى، فنيَّة المعمول له أهمُّ من نيَّة العمل؛ لأنَّ عليها مدار الصحَّة، قال تعالى في الحديث القُدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَملَ عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تَركْتُهُ وشِرْكَهُ» [صحيح مسلم]. ولا بُدَّ من ملاحظة الأمرين جميعاً.[الشرح الممتع للعثيمين ١٢٥/١].

محل النية:

محل التعيين هو القلب بالاتفاق، لأنه محل العقل والعلم والإرادة والميل والنفرة والاعتقاد. ويدل على ذلك قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ) [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: (أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) [المجادلة: ٢٢] وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [ق: ٣٧] وقوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) [البقرة: ٧] فدل على أن محلها القلب (الذخيرة لشهاب الدين القرافي ٢٤١/١).

التلفظ بالنية بدعة

ولهذا قال الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى» [متفق عليه]. فليست من أعمال الجوارح، ولهذا نقول: إن التلفظ بها بدعة، فلا يُسَنُّ للإنسان إذا أراد عبادة أن يقول: اللهم إني نويت كذا؛ أو أردت كذا، لا جهراً ولا سرّاً؛ لأن هذا لم يُنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأنها منعقدة في القلب وليس في اللسان، أسر بها أو جهر. ولأنَّ الله تعالى يعلم ما في القلوب.

زمنها:

النية أَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ في العمل، فينبغي أن تقع قبل البداءة بالعبادة، أو عند البداءة بها مصاحبة؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) [المائدة:٦]، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم، وغسل الوجه لا يتأتى إلا بعد نيته، ويكون مصاحبا لأول مفروض.

ويجوز تقديمها على التكبير بالزمن اليسير إذا لم يفسخها، ويكفي استصحاب حكمها لأن التكبير جزء من أجزاء الصلاة فجاز أن تكون النية مستصحبة فيه حكماً، وإن لم تكن مذكورة كسائر أجزاء الصلاة، ولأن إيجاب مقارنة النية للتكبير يعسر ويشق على كثير من الناس، ويفتح باب الوسواس المخرج لهم عن الصلاة إلى العبث واللغو من القول؛ ولأن المقصود بالنية تمييز عمل عن عمل، وهذا يحصل بالنية المقترنة والمتقدمة، ولأن المعروف من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم كانوا يكبرون بيسر وسهولة من غير تعمق وتكلف وتعسير وتصعيب، ولو كانت المقارنة واجبة لاحتاجوا إلى ذلك، وإنما الممكن إيقاع التكبير عقب النية المعتبرة، فعُلم أن النية المعتبرة لذلك القول لا بد أن تسبقه، سواء كان بينهما فعل أو لم يكن.

إذا تبين ذلك فيجوز تقديمها بالزمن اليسير؛ لأن ذلك هو الذي تدعو الحاجة إليه. واستثني من ذلك الصوم للمشقة والزكاة في الوكالة على إخراجها عونًا على الإخلاص، ودفعًا لحاجة الفقير من باذلها. (الذخيرة لشهاب الدين القرافي ٢٤٨/١).

شروط النية:

إن شروط النية: الإسلام، فلا تصح النية من الكافر؛ لأنها عبادة والكافر ليس من أهلها، والتمييز، فَلاَ تَصحُّ عبَادَةُ صَبِيٍّ غَيْرِ مُمَيِّزٍ وَلاَ مَجْنُونٍ؛ لأن العقل مناط التكليف والعلم بالمنوي، فالجهل بالنية لا تصح معه العبادة، فَمَنْ جَهل فريضَة الصَّلاَة لَمْ تَصِحَّ مِنْهُ، وَاسْتَثْنَى الْعُلَمَاءُ مِنْ ذَلِكَ الْحَجَّ فَإِنَّهُمْ صَحَّحُوا الإِحْرَامَ الْمُبْهَمَ؛ لأَنَّ عَلِيًا أَحْرَمَ بِمَا أَحْرَمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجه البخاري. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٦٨/٤٢).

والجزم به؛ فإن المشكوك تكون فيه النية مترددة فلا تنعقد.

وتعيين المنوي؛ فيشترط تعيين نوع الفرض الذي يصليه باتفاق الفقهاء، كالظهر أو العصر؛ لأن الفروض كثيرة، ولا يتأدى واحد منها بنية فرض آخر.

المقصودُ بها:

هو تمييز العبادات عن العادات ليتميز ما لله عن ما ليس له، أو تمييز مراتب العبادات في أنفسها؛ لتتميز مكافأة العبد على فعله، ويظهر قدر تعظيمه لربه. فمثال الأول الغُسل يكون تبردًا وعبادة .

ومثال القسم الثاني الصلاة تنقسم إلى فرض ومندوب، والفرض ينقسم إلى الصلوات الخمس، والمندوب ينقسم إلى راتب كسنن الصلوات المفروضة القبلية والبعدية والوتر، وغير راتب كالنوافل المطلقة. وكذلك القول في قربات المال والصوم والنسك فشرعت النية لتمييز هذه الرتب ولأجل هذه الحكمة تُضاف صلاة الكسوف والاستسقاء إلى أسبابها لتمييز رتبتها، وكذلك تتعين إضافة الفرائض إلى أسبابها؛ لتتميز لأن تلك الأسباب قُرَب في نفسها بخلاف أسباب الكفارات لا تضاف إليها؛ لأنها مستوية.

وهذه الحكمة قد اعتبرت في ست قواعد في الشريعة، وهي القربات والألفاظ والمقاصد، والنقود، والحقوق، والتصرفات. (الذخيرة لشهاب الدين القرافي ٢٥٠/١).

مسألة: قطع النية:

إذا قطع النية في الصلاة بطلت مثاله: رَجُلٌ قام يتنفَّل، ثم ذكر أن له شغلاً فقطع النيَّة، وإن لم يخرج من الصلاة ويغادرها فإن الصَّلاة تبطل ولا شك؛ لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلّم: «إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى»، وهذا قد نوى القطع فانقطعت. (الشرحُ الممتع١/١٢٧)، ولفوات اصطحاب النية لأن جزءًا من الصلاة خلا عن النية، فلم يصح بدون النية ومتى بطل بعضها بطل جميعها، ولأنه شرط من شرائط الصلاة، فوجب استدامته إلى آخر الصلاة كالاستقبال والسترة. (شرح عمدة الفقه شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٤٩٢).

مسألة: هل جميع العبادات تبطل بالعزم على القطع؟

الجواب: نعم، إلا الحجَّ والعمرة، فإن الحجَّ والعمرة لا يبطلان بإبطالهما؛ حتى لو صرَّح بذلك، وقال: إني قطعت نُسكي، فإنه لا ينقطع ولو كان نَفْلاً، بل يلزم المضي فيه ويقع صحيحاً، وهذا من خصائص الحجِّ والعمرة أنهما لا يبطلان بقطع النيَّة؛ لقول الله تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» [البقرة: ١٩٦]. (الشرح الممتع ١/١٢٧).

قاعدة:

قَطْعُ نيَّة العبادة بعد فعلها لا يؤثِّر، ولهذا لو نوى قطعَ الصَّلاة أي إلغاءها بعد انتهائها، فإنَّ صلاته لا تنقطع، وكذلك الشكُّ بعد الفراغ من العبادة، سواء شككتَ في النيَّة، أو في أجزاء العبادة، فلا يؤثِّر إلا مع اليقين. فلو أن رجلاً بعد أن صَلَّى الظهر قال: لا أدري هل نويتُها ظُهراً أو عصراً شكّاً منه؟ فلا عبرة بهذا الشكِّ ما دام أنّه داخل على أنها الظهر فهي الظهر، ولا يؤثِّر الشكُّ بعد ذلك. (الشرح الممتع ١/١٢٧).

مسألة: التردد في النية:

إن تردد هل يقطعها أم لا؟ مثاله: سمع قارعاً يقرع الباب فتردَّد؛ أأقطعُ الصلاةَ أو أستمرُّ؟ وكذلك لو سمع جرسَ الهاتف فتردَّد؛ هل يقطع الصلاة ويُكلم أو يستمرُّ؟ فالبعض يقول: إن صلاته تبطل؛ لأن الواجب عليه استدامة النية ولم يستدمها، وقال بعض أهل العلم: إنها لا تبطل بالتردُّد ؛ وذلك لأن الأصل بقاء النيَّة، والتردُّد هذا لا يبطلها، فما دام أنه لم يعزم على القطع فهو باقٍ على نيَّته، ولحديث ابن مسعود قال: صليت معَ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فأطال حتى هممت بأمر شرّ. قيل له: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. (متفق عليه) وهذا القول هو الصَّحيح (شرح عمدة الفقه شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٤٩٢).ويضاف إلى ذلك تردد جريج في قطع الصلاة وإجابة أمه فكان يحدث نفسه «اللهم أمي وصلاتي» [متفق عليه]

مسألة: الشك في النية:

وإن شك في أثناء الصلاة هل نوى أم لا، أو شك هل كبَّر لافتتاح الصلاة؛ لم تبطل الصلاة؛ لأن الأصل عدم ما شك فيه، والشك وحده غير مبطل، كما لو شك هل صلى ركعة ثم ذكر أنه كان صلاها وإن ذكر بعد أن فعل شيئًا منها. (شرح عمدة الفقه شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٤٩٢).

مسألة: تغيير النية:

إذا أحرم بفريضة، ثم نوى نقلها إلى فريضة أخرى، بطلت الاثنتان، لأنه قطع نية الأولى، ولم ينو الثانية عند الإحرام، مثال ذلك: شَرَعَ يُصلي العصر، ثم ذكر أنه صَلَّى الظهر على غير وُضوء؛ فنوى أنها الظهر، فلا تصحُّ صلاة العصر، ولا صلاة الظهر؛ لأن الفرض الذي انتقل منه قد أبطله، والفرض الذي انتقل إليه لم ينوه من أوَّله. فإن حول الفرض إلى نفل ففيه رأيان عندَ الشافعيةِ والحنابلة، أرجحهما أنها تنقلب نفلاً؛ لأن نية الفرض تتضمن نية النفل، بدليل أنه لو أحرم بفرض، فبان أنه لم يدخل وقته، كانت صلاته نافلة، والفرض لم يصح، ولم يوجد ما يبطل النفل. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٨٨).

وهذا جائز؛ بشرط أن يكون الوقت متَّسعاً للصلاة، فإن كان الوقت ضيِّقاً؛ بحيث لم يبقَ منه إلا مقدار أربع ركعات فإن هذا الانتقال لا يصحُّ؛ لأن الوقت الباقي تعيَّن للفريضة، وإذا تعيَّن للفريضة لم يصحَّ أن يشغله بغيرها، فإن فعل فإن النَّفل يكون باطلاً؛ لأنه صَلَّى النَّفل في وقت منهيٍّ عنه (الشرح الممتع ٢/٣٠٢).

مسألة: هل يجوز الجمع بين نيتين في عبادة واحدة؟

سئل الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى - ما هو الضابط في اجتماع نيتين في عمل واحد؟ فأجاب ضابط ذلك: إن كان المقصود بتلك العبادة ذاتها، لم يشترك معها غيرها. وإن كان المقصود الفعل، فلا مانع من الاشتراك. فالعبادات أحياناً تتساقط يعني يسقط بعضها بعضاً، وهذا فيما إذا علمنا أن المقصود حصول هذه العبادة في هذا الوقت دون النظر إلى ذات العبادة، ومن أمثلة ذلك: صلاة الاستخارة، مقصودة لذاتها فلا يشترك معها غيرها، أما تحية المسجد، فالمقصود بها الفعل، فتقوم الراتبة القبلية مقامها، فإذا دخل المسجد وهو يريد أن يصلي الراتبة فصلى الراتبة سقطت بذلك تحية المسجد؛ لأن المقصود أن لا تجلس حتى تصلي وقد صليت وكذلك طواف الوداع، المقصود به الفعل، فيدخل في طواف الإفاضة لو أخره. (ثمرات التدوين من مسائل ابن عثيمين ١/ ١٣٨بتصرف).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة نبي الله عيسى عليه السلام ومُعلمه في الكُتَّاب

الحلقة (١٤٨)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في كتب التفسير، خاصة عند شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري، وهو من التفاسير التي يُعزى إليها عند التخريج؛ حيث إن الإمام الطبري يروي الأحاديث والآثار التي يستشهد بها استقلالاً، فلا يأخذها من مصنفات أخرى قبله، فهو يُعتبر من المصادر الأصلية؛ حيث جمع أخبار هذا المصنف في التفسير عن طريق تلقيها عن شيوخه بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين فما دونهم. وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكُتَّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب بسم الله.

فقال له عيسى: وما بسم؟

فقال له المعلم: ما أدري.

فقال له عيسى: الباء: بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مملكته». اهـ.

ثانيا التخريج:

١- أخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/١٠٠) (ح١٤٠) قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك (الملقب بزريق) قال: حدثنا إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن أبي مليكة، عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب...» القصة.

٢- وأخرجه الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/١٢٦) قال: أخبرنا محمد بن يحيى بن رزين العطار بحمص حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا إسماعيل بن يحيى عن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا به.

٣- وأخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (١/٣٠٣) (١٢٩/١٢٩) قال: حدثنا محمد بن جعفر بن يحيى بن رزين العطار بحمص، حدثنا إبراهيم بن العلاء، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة عمن حدثه، عن ابن مسعود، ومسعر بن كدام، عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، مرفوعًا به.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية موضوع علته إسماعيل بن يحيى.

١- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (١/٣٠٢) (١٢٩/١٢٩): «إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي مدني يحدّث عن الثقات بالبواطيل.

يحدث عن شعبة، وعن الثوري، ومسعر، وابن جريج وغيرهم.

قلت: وأخرج له الإمام ابن عدي هذا الخبر الذي

جاءت به هذه القصة كما بيّنا آنفًا، ثم قال: «هذا حديث باطل بهذا الإسناد؛ لا يرويه غير إسماعيل». اهـ.

قلت: ثم ساق له سبعة وعشرين حديثًا، وقال: «ولإسماعيل بن يحيى أحاديث غير ما ذكرت، وعامة ما يرويه من الحديث بواطيل عن الثقات وعن الضعفاء». اهـ.

قلت: وتعميم هذه القاعدة على ما يرويه إسماعيل بن يحيى من الحديث برهن عليه لسبعة وعشرين حديثًا، ثم ختم ترجمته التي بلغت أكثر من مائة وأربعين سطرًا بهذه القاعدة:

«وعامة ما يرويه إسماعيل بن يحيى من الحديث بواطيل عن الثقات وعن الضعفاء».

٢- بتطبيق هذه القاعدة على إسناد القصة التي أوردناها آنفًا في التخريج يتبين:

أ- أن إسناد هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة غريب؛ حيث انفرد بروايته إسماعيل بن يحيى التيمي عن مسعر بن كدام في حديث أبي سعيد الخدري.

ب- ويتبين أيضًا انفراد إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة في حديث ابن مسعود.

ولذلك قال الإمام ابن عدي بعد روايته لحديث القصة: «هذا حديث باطل بهذا الإسناد، لا يرويه غير إسماعيل». اهـ.

جـ- ويتبين أيضًا من انفراد إسماعيل بن يحيى عن مسعر بن كدام في حديث أبي سعيد الخدري انطباق القاعدة التي قالها الإمام ابن عدي في إسماعيل بن يحيى؛ تلك القاعدة التي افتتح به ابن عدي ترجمة إسماعيل بن يحيى، وختم بها ترجمته التي بلغت أكثر من مائة وأربعين سطرًا، حيث قال في بدء الترجمة: «يحدث عن الثقات بالبواطيل». اهـ.

وفي ختام الترجمة «عامة ما يرويه من الحديث بواطيل عن الثقات والضعفاء». اهـ.

قلت: وفي الإسناد الذي جاءت به خبر القصة الباطلة نجده يرويه عن مسعر بن كدام، ومسعر هذا قال في ترجمته الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٤٣/٢): «مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ثقة ثبت فاضل». اهـ.

وبهذا تنطبق القاعدة يحدث عن الثقات بالبواطيل.

د- ويتبين أيضًا من انفراد إسماعيل بن يحيى عن أبي مليكة في حديث ابن مسعود انطباق تلك القاعدة أيضًا؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤٣١/١): «عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة المدني ثقة فقيه». اهـ.

قلت: فلا يغتر من لا علم له بهذه الصناعة برواية المجروح عن الثقات إذا كان المجروح هو محور الارتكاز الذي تدور حوله المتابعات والشواهد، خاصة والجرح شديد.

٣- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٥/٢٥٣/١) وقال:

أ- «إسماعيل بن يحيى أبو يحيى التيمي عن مسعر بالأباطيل».

ب- قال: صالح بن محمد جزرة: «كان يضع الحديث».

جـ- وقال: الأزدي: ركن من أركان الكذب؛ لا تحل الرواية عنه.

د- وقال: أبو علي النيسابوري الحافظ والدارقطني والحاكم: كذاب. اهـ.

ثم أتبع الإمام الذهبي أقوال أئمة الجرح والتعديل بقوله الذي يبين الإجماع حيث قال: «مجمع على تركه». اهـ.

ثم أخذ الإمام الذهبي يبين بلاياه حيث قال: «ومن بلاياه».

وأورد هذه القصة وحديث في فضل من سمع «يس» ومن قرأها ومن كتبها وشربها.

٤- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٦/١): «إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، وما لا أصل له عن الأثبات؛ لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال». اهـ.

قلت: ثمَّ أخرج له هذه القصة الباطلة كما بينا آنفًا.

وهناك علة أخرى ثانية:

وهي رواية إسماعيل بن يحيى.

وهذه العلة تقع تحت قاعدة تبين مدى ما وصل إليه هذا العلم ودقيق فقه هذه الصناعة.

ولقد بيّن هذه القاعدة الإمام العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» (٦٠٩/٢) حيث قال: «من ضعف حديثه في بعض الأماكن دون بعض».

قلت: إن من تبحر في هذه الصناعة لا بد له من معرفة أوطان الرواة وبلدانهم؛ حتى يستطيع أن يقف على علة الحديث المتعلقة بهذه القاعدة، ولأهمية ذلك جعله الإمام ابن الصلاح نوعين من

أنواع الحديث في كتابه «علوم الحديث»، بل ختم به كتابه هذا؛ حيث قال: «النوع الخامس والستون»: «معرفة أوطان الرواة وبلدانهم».

ثم قال: «وذلك مما يفتقر حفاظ الحديث إلى معرفته في كثير من تصرفاتهم، وقد كان العرب إنما ينتسبون إلى قبائلها؛ فلما جاء الإسلام وغلب عليهم سكنى القرى والمدائن حدث فيما بينهم الانتساب إلى الأوطان». اهـ.

قلت: ولقد تبعه في ذلك كل من جاء من بعد ابن الصلاح في نظمه لكتابه واختصاره.

وقد استشكل بعض الحفاظ رواية يونس بن محمد المؤدب عن الليث لاختلاف بلديهما، وسئل المزي: أين سمع منه؟ فقال: لعله في الحج، ثم قال: بلى في «بغداد» حين دخول الليث لها.

ويتميز به أحد المتفقين من الآخر كما تقدم في سابع أقسام «المتفق والمفترق». اهـ.

قلت: وهو نفس ما بينه الحافظ العراقي في «فتح المغيث»، وحتى لا يتقول علينا أحد ننبه القارئ الكريم وطالب هذا العلم أن هناك كتاب «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للإمام الحافظ العراقي أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة ٨٠٦هـ، وهو مجلد واحد، وكتاب «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للحافظ السخاوي شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢هـ، وهو خمسة مجلدات بالفهارس (ط. دار المنهاج بالرياض).

قلت: وبتطبيق ما قاله أئمة هذا الفن على إسماعيل بن عياش في رواية هذه القصة نجد أنها:

١- من رواية إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى.

٢- إسماعيل بن عياش أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٦٦/٢٠٧/٢)، وقال: إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي.

ثم نقل قول الإمام البخاري فيه: «وقال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غير أهل بلده ففيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه؛ حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

وبهذا يتبين شدة الجرح في إسماعيل بن عياش إذا روى عن غير أهل بلده حمص، ولقد بينا تفصيل قول البخاري هذا آنفًا فيما حدّث به الإمام الترمذي عن شيخه الإمام البخاري في كتابه «السنن».

٣- إسماعيل بن يحيى قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣٠٢/٣) (١٢٩/١٢٩): «إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي مدني». اهـ.

قلت: يتبين مما أوردناه آن:

١- إسماعيل بن عياش حمصي شامي.

٢- وإسماعيل بن يحيى مدني حجازي.

٣- وبتطبيق القاعدة «من ضُعِّف حديثه في بعض الأماكن دون بعض».

٤- وتضعيف الأئمة بهذه القاعدة لإسماعيل بن عياش في روايته عن أهل العراق وأهل الحجاز وأن ما رواه عنهم مناكير.

وروايته عن أهل الشام أهل بلده أصح، وهذا قول البخاري كما بينا آنفًا وخرجناه.

٥- ولما كان إسماعيل بن يحيى مدنيًا حجازيًا، فرواية إسماعيل عنه كما في القصة تصبح منكرة متروكة.

قلت: وبهذا يتبين بطلان هذه القصة كما قال الإمام ابن عدي آنفا: «هذا حديث باطل بهذا الإسناد لا يرويه غير إسماعيل بن يحيى». اهـ.

وهناك علة أخرى في سند القصة من حديث ابن مسعود كما بينا آنفا في التخريج عن إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود مرفوعًا.

١- يتبين من السند أن هناك جهالة في السند «عن ابن أبي مليكة عمن حدثه»، وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٣٥): «ولا يقبل حديث المبهم ما لم يُسَمَّ؛ لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه، ومن أبهم اسمه لا تُعرف عينه، فكيف تُعرف عدالته؟!». اهـ.

ويسمى الحديث: «مبهم». وهو الحديث الذي فيه راو لم يُصرّح باسمه، وعلة أخرى في رواية إسماعيل بن عياش: حدثنا إسماعيل بن يحيى عن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد وهو عطية العوفي يخطئ كثيرًا وشيعي ومدلس، وقد عنعن؛ فالقصة باطلة بهذه العلل من كذابين ومتروكين ومجهولين ومدلسين.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة الثانية

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فما يزال الحديث متصلاً عن مقدمات في فقه النوازل، فنقول وبالله تعالى التوفيق: احتلت كتب الفتاوى والنوازل والمسائل مكانة بارزة لدى الحكام والقضاة والمفتين والفقهاء عامة؛ وذلك لما حوته من فقه حي يواكب الحياة، فيلبي احتياجات الخلق إلى الاجتهاد الحق، فالحاجة إلى الفتيا في النوازل بمنزلة الضرورة الحتمية المتجددة بتجدد الحوادث والوقائع بمر العصور وكر الدهور.

كما أن تلك الكتب تعطي تصورًا عن قيمة النازلة وعلاقتها بغيرها من النوازل التي تستجد؛ ولذا قال صاحب مفتاح السعادة عن علم الفتاوى: «علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصدين من بعدهم» [«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» (٤٢٨/٢)]، وهذا يفسر كثرة استشهاد المتأخرين من الفقهاء في كتبهم وفتاواهم بما في كتب النوازل والفتاوى للأئمة المتقدمين.

الفتاوى الجماعية:

وهذا اللون من الكتب تمثلها في العصر الحديث كتب المجامع الفقهية الرسمية، سواء مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو التابع لرابطة العالم الإسلامي، أو مجمع البحوث الإسلامية بمصر، أو المجامع غير الرسمية كالمجلس الأوروبي للإفتاء أو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، أو مجلدات فتاوى دور الإفتاء في الدول العربية والإسلامية، وهيئات كبار العلماء، إضافة إلى الفتاوى التخصصية في أبواب من النوازل، كفتاوى هيئات الرقابة الشرعية على البنوك الإسلامية في مجال المعاملات والجوانب الاقتصادية المعاصرة، وغير ذلك من الهيئات العلمية والفقهية. [«منهج استنباط أحكام النوازل المعاصرة» د.مسفر بن علي القحطاني: (ص١٠٨: ١١٠)، «نظرات في النوازل الفقهية» د.محمد حجي: (ص٤٠: ٥٤)].

ثانيًا: باعتبار منهج الجمع والتصنيف:

يمكن تقسيم كتب النوازل من حيث منهج جمعها وإعدادها إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

أ- كتب الفتاوى العامة:

وهذه الكتب تتسم بشمولية موضوعاتها، وتنوع مسائلها، وتعدد المفتين فيها، وتنوع مذاهبهم الفقهية، فهي تمثل دواوين كبيرة للنوازل، ومن أمثلتها ما يصدر عن دور الإفتاء من المجلدات الكبيرة التي تغطي أبواب الفقه جميعًا، ويشترك في تحرير الفتاوى والإجابة عن النوازل والأسئلة عدد كبير من المفتين في سنوات متعاقبة، مثل ما يصدر عن دور الإفتاء في مصر والسعودية وغيرها، وكذلك ما يجمعه بعض الباحثين من فتاوى العلماء حسب الموضوعات الفقهية من غير تقيد بفقهاء بلد بعينها، سواء أكان الإفتاء جماعيا كما هو الحال في المجامع الفقهية المعاصرة، أو كانت الفتاوى فردية تصدر باسم أصحابها.

ب- كتب الفتاوى الخاصة:

وهذه الكتب يلتزم جامعوها بجهة واحدة عند الجمع، كأن يجمع فتاوى المعاملات أو فتاوى المناسك فحسب، وهذه جهة موضوعية، وقد يجمع فتاوى أهل بلد بعينه، كفتاوى الأندلسيين، أو الحجازيين، أو النجديين، وهذه جهة جغرافية، أو فتاوى المالكية أو الحنفية فحسب، فهذه جهة مذهبية، وفي جميع ما سبق وُجدت كتب كثيرة في القديم والحديث على حد سواء.

ج- كتب الفتاوى الشخصية:

وهذه كتب وضعها أصحابها أو جمعها التلامذة

أو طلبة العلم لفقيه بعينه أو مفت بخصوصه، وربما شملت هذه الكتب أبواب الفقه بأسرها، وربما اقتصرت على بعض الأبواب، وربما كانت لعلاج نازلة واحدة ودراسة مسألة مفردة، وربما كانت جوابًا لسؤال ورد من شخص بعينه، وهي أكثر من أن تحصى وأوسع من أن تستقصى، وفيها المطبوع والمخطوط.

وفي العصر الحديث بدأ لون جديد من الكتابة في فقه النوازل من جهة تأصيلية نظرية، تعنى ببيان حقيقته وأهميته، وأصوله، وشرائط الفقيه النوازلي، ومناهج الاستنباط وطرائق التعرف على أحكام النوازل، ونحو ذلك.

ومن تلك الدراسات والبحوث المعاصرة ما يلي:

- بحث «المدخل إلى فقه النوازل»، تأليف: أد/عبد الناصر أبو البصل، وقد اشتمل - على وجازته - على تسعة مطالب، تعرف بفقه النوازل، وتعدد أنواعها، وتبين حكم التصدي لها، وشروط مفتي النوازل، وأصول بحث النازلة، ونحو ذلك.

- بحث «فقه النوازل، قيمته التشريعية والفكرية»، تأليف: أد/ الحسن الفيلالي.

أهمية الفتيا في النوازل وثمرتها:

إن كل فائدة ترجى وكل ثمرة تجنى من دراسة الشريعة والفقه الإسلامي هي ثابتة كذلك لدى دراسة فقه النوازل.

وتتبدى تلك الغايات الجليلة من جهات عديدة، وحيثيات متنوعة، إلا أنها تعود وترجع إلى جوانب ثلاثة هي:

أولا: ثمرته بالنسبة للشريعة والفقه الإسلامي.

ثانيًا: ثمرته بالنسبة للمجتمع الإسلامي.

ثالثا: ثمرته بالنسبة للفقيه والمجتهد.

وفيما يلي التفصيل لهذه الجهات، والبيان لتلك الثمرات:

أولا: ثمرته بالنسبة للشريعة والفقه الإسلامي:

١- تجدد الأدلة وتنوعها دليل على إعجاز الشريعة:

فإن الشريعة التي تفرض الاجتهاد لا ينضب معين الأحكام فيها على مر العصور، وكر الدهور، مع تناهي الأدلة وتعاقب النوازل، وتجدد الحوادث، وما ذاك إلا لأنها وحي يوحى، قال تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» [النجم: ٤]، وفي الحديث: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا». [البخاري (٤٦٩٦)، ومسلم، (١٥٢)].

إن الشريعة التي قطب رحاها يدور على جلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها - في كل زمان ومكان - هي شريعة معجزة، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وإذا كان بعض الفقهاء قد قال: إن الشريعة ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم [الموافقات» للشاطبي: (٢/ ٦)]، فإن منهم من قال بحق: إن الشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد أو جلب مصالح. [قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام: (٩/١)].

إن طرفا من إعجاز هذه الشريعة ينبع من صلاحيتها لكل زمان ومكان وإنسان، ولا تكون كذلك حتى تكون مبنية على اليسر ورفع الحرج «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة:١٨٥].

وطرف آخر من إعجازها ينشأ من شمولها لجميع مناحي الحياة، فلا تترك شاذة ولا فاذة من أعمال المكلفين إلا وضبطتها بما تحقق منفعته، ويلاءم فطرته، ويناسب واقعه، «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ» [النحل:٨٩].

ذلك أنها شريعة الله للإنسان، «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان:١]، ثم إن هذه الشريعة على شموليتها وسعة جوانبها وتعدد عطائها في كل ميدان، لا تتعارض أجزاؤها، ولا تتضارب أحكامها، ولا تتنافر مبادؤها، فهي التناسق والتكامل والتوازن والإحكام في الأحكام، وكما أن الكون على اتساعه وتنوع ممالكه ودوران أفلاكه ينتظم ولا يضطرب، فكذا هذه الشريعة في تناسق أحكامها واستقرار بنائها.

ودرس النوازل المستجدة وتقرير أحكامها في كل زمان ومكان، بما يحقق مصلحة الإنسان، هو برهان ساطع متجدد على إعجاز التشريع.

يقول مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: «وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل

ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثًا وتفتيشًا، ثم هو بعدُ لا يزال عندهم على ذلك خلقًا جديدًا ومرامًا بعيدًا وصعبًا شديدًا». [إعجاز القرآن» لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٠هـ: (ص١٤٠)].

ومن أوضح صور الإعجاز التشريعي أنه لا تنزل نازلة ولا تجد حادثة إلا ولها حكم يلتمس في نصوص هذه الشريعة مباشرة، أو تلحق الحادثة بنظيرتها إلحاقًا، أو تندرج تحت قاعدة فقهية كلية، أو يدرك حكمها بالنظر إلى قانون المصالح وقواعد الاستصلاح، وغير ذلك من موارد الأدلة في الشريعة الإسلامية، ولا يوفق لإقامة هذا البرهان، وإظهار هذا البيان إلا متضلعٌ من علوم الشريعة ريَّان.

وهذا ما أشار إليه الإمام الجويني رحمه الله بقوله: «فلو قال قائل: ما يتوقع وقوعه من الوقائع لا نهاية له، ومآخذ الأحكام متناهية، فكيف يشتمل ما يتناهى على ما لا يتناهى، وهذا إعضال لا يبوء بحمله إلا موفق ريانٌ من علوم الشريعة» [غياث الأمم في التياث الظلم للإمام أبي المعالي الجويني، (ص١٩٣)].

وهذا الإعجاز التشريعي إنما يظهر ويثبت عن طريق الفقه الإسلامي، الذي حقيقته عمل الفقهاء المجتهدين في نصوص الوحيين، إدراكًا للعلل والحكم، واستنباطًا للأحكام، وتخريجًا عليها، ومراعاة للمصالح والأعراف والعادات.

وإن التصدي اليوم للنوازل الفقهية في مجالات الحياة كافة، وتكييفها تكييفًا فقهيًا صحيحًا، واستنباط أحكامها لما يجدد الأدلة على حيوية الفقه الإسلامي الأصيل، ويؤكد على صلاحيته لمواكبة التطورات، والتصدي للمستجدات، ويبرهن مجددًا على أن الشريعة الإسلامية هي شريعة الخلود. [الاجتهاد الفقهي الحديث» بحث د. وهبة الزحيلي، منشور ضمن كتاب: «الاجتهاد الفقهي أي دور وأي جديد» تنسيق د. محمد الروكي: (ص٢٥)، «فقه المستجدات في العبادات» لطاهر يوسف صديق: (ص١٤)].

ومن ناحية أخرى فإنه يسهم بشكل ظاهر في كشف عدم موضوعية ما يسمى بالصراع بين الأصالة والمعاصرة في الفقه الإسلامي، فتثبت وجوب اتباع النهج الفقهي الأصيل، ورفض الجمود والتقليد، والتعامل مع المستجدات الفقهية على هذا الأساس.

٢- قطع طريق الاعتماد على القوانين الوضعية:

إن النازلة الأخطر والبلاء الأكبر، هو ما حل بديار المسلمين من استبدال الشرع المطهر، وتنحية ما نزل به الروح الأمين على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين.

يقول محدث ديار مصر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائنًا من كان - في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه». [عمدة التفسير» للشيخ أحمد شاكر، ط دار المعارف بمصر : (١٧٤/٤)].

ويقول الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله شيخ الجامع الأزهر: «فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين». [مؤامرة فصل الدين عن الدولة لمحمد كاظم حبيب، دار الإيمان، لبنان، ط ١، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م: (ص٢١)].

وإن ما ينعق به خصوم الشريعة دعواهم بجمودها، وعدم قدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر، وضعف استجابتها لمتغيراته، ولقد علم المسلمون أن وفاء الشريعة بمصالح العباد ضرورة عقدية، وبديهة إيمانية، ومسألة واقعية، والقول بغير هذا طعن فيما شرعها سبحانه وتعالى، واجتراء على من بلغها صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك إثمًا مبينًا.

بل لا يتأتى لأي تشريع كان إلهيًا أو وضعيًا أن يبقى محترمًا معمولاً به نافذ القول إلا بالاجتهاد الذي تمليه ضرورات الواقع وتطورات الحياة.

وعلى هذا فإن درس النوازل وبحثها، واستنباط أحكامها يقطع ذريعة دهاقنة القوانين الوضعية، ويغلق باب الاجتراء على مقام الشريعة، ويقيم البرهان بصورة عملية على حيوية الفقه الإسلامي، وتجدد عطائه في جميع العصور ولا شك أن في هذا العمل إلزامًا للحجة، وقطعًا للدعاوى، وتفويتًا للفرصة التي ينتهزها العلمانيون للنيل من الشريعة الإسلامية الغراء.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

سرعة استجابة الصحابة لأمر الله ورسوله

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الذي خلقنا وهدانا، ورزقنا واجتبانا، ومن كل ما سألناه منحنا وأعطانا، فضلاً منه ونعمة وامتنانًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل علينا قرآنًا، هدى للناس وبيانًا، وحجة وفرقانًا، وأشهد أنَّ نبينا محمدًا عبده ورسوله، أعظم الأمة إيمانًا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين كانوا بنعمة الله إخوانًا، وعلى الخير أعوانًا، وعلى من تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم بإيمان، أما بعد:

فمن المعلوم الثابت أنَّ جيل الصحابة رضوان الله عليهم كان جيلاً فريدًا، لم يشهد الزمان مثله، لأنه جيل تخرج من مدرسة الدعوة الإسلامية، التي كان يقودها المربي الأسوة، والنبي الخاتم، صلوات الله وسلامه عليه، ولقد شهد الله تعالى لهم بهذا، فقال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠]، وهذا الخطاب وإن كان عامًا للأمة كلها، إلا أنَّ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هم أحق الناس به، فإنه لم يبلغ إيمانهم أحد، ولم يقم في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقامهم أحد، ثم إنهم هم أول من خوطب بهذه الآية وعليهم أنزلت، وقد مدحهم الله تعالى صراحة في أكثر من آية:

قال الله تعالى:«وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [سورة التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الحشر: ٨- ٩].

ونحن اليوم ننظر ونتساءل: أليس في الإمكان أن يعود المسلمون اليوم عودة حميدة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ونرى جيلاً كريمًا كالجيل الأول؟ هل يمكن أن تتكرر الصورة المشرقة المضيئة التي أراها السلف الصالح للدنيا كلها؟ أيمكن أن تعود سيرة المسلمين الأولى بجمالها وبهائها؟ والجواب:

أما من ناحية الإمكان: فالإمكان حاصل، من الممكن، بل من اليسير - بإذن الله - وذلك إذا تأسينا بهم في سرعة الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد كان الواحد منهم - رضوان الله عليهم - يتلقى الأمر من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما يتلقى الجندي الأمر في الميدان ليعمل به فور تلقيه.

وإليك أخي القارئ صورًا مشرقة في المسارعة والاستجابة لهذا الجيل العظيم:

أولاً: مسارعة قوم من الأنصار إلى تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع:

روى البخاري عن البراء – رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبّ أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» [البقرة: ١٤٤]. فوُجِّه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثمَّ خرج فمرَّ على قوم من الأنصار، فقال لهم: «إنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم وإنه قد وُجِّه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر». [صحيح البخاري: ٧٢٥٢، ١٣/٢٣٢].

ما أسرعهم تأسيًا بالرسول صلى الله عليه وسلم!! وقد سمعوا خبرًا عنه صلى الله عليه وسلم فلم يترددوا في التمسك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجّه الحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة المشرفة، وهم ركوع.

ثانيًا: مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم باجتماعهم عند النزول في سفر: عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: «كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تفرّقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزل بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: «لو بُسط عليهم ثوب لعمهم». [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٢٨٨، ٢/٤٩٨].

ثالثًا: إكفاء الصحابة القدور وهي تفور باللحم عند استماعهم النداء بتحريم لحوم الحمر الأهلية:

روى البخاري عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، فَسَكَتَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: أُفْنِيَتْ الْحُمُرُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَأُكْفِئَتْ الْقُدُورُ وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ. [صحيح البخاري: ٤١٩٩، ٧/٤٦٧- ٤٦٨].

فلم يفكر أولئك الأبرار – المحبون الصادقون للحبيب صلى الله عليه وسلم في التحايل أو البحث عن فرصة أو استثناء.

رابعًا: جري الخمر في سكك المدينة فور تحريمها:

لم يكن ابتغاء أولئك الأبرار المحبين الصادقين للحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم عند النهي عما رغبوا فيه فحسب، بل تركوا أشياء كانوا تعودوا عليها منذ سنوات، بل ورثوها عن آبائهم، روى البخاري عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْخَمْرَ الَّتِي أُهْرِيقَتْ الْفَضِيخُ، وَزَادَنِي مُحَمَّدٌ الْبِيكَنْدِيُّ عَنْ أَبِي النُّعْمَانِ قَالَ: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ. قَالَ: فَخَرَجْتُ: فَقُلْتُ هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ. [البخاري: ٢٤٦٤، ٥/١١٢].

سبحان الله، وتم هذا كله من غير تردد ولا استفسار، يا له من استسلام مطلق، وانقياد كامل، كما قال الله تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [النور: ٥١].

خامسًا: مبادرة الصحابة إلى خلع نعالهم في الصلاة حينما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: «ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟».

قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فأخبرني أنَّ فيهما قذرًا». وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر، فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما». [صحيح سنن أبي داود: ٦٠٥، ١/١٢٨].

الله أكبر، كم كانوا حريصين على المبادرة على التأسي به صلى الله عليه وسلم.

سادسا: خلع المرأة سواريها عند استماع تهديد النبي صلى الله عليه وسلم:

لم تكن سرعة الاستجابة لله ورسوله من قبل الرجال فحسب، بل كانت كذلك من المؤمنات الصادقات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان [تثنية مسكة وهي السوار] غليظتان من ذهب، فقال: أتعطين زكاة هذا؟ قالت: لا. قال: أيسرك أن يسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» قال: فخلعتهما

فالقتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله. [صحيح سنن أبي داود: ١٣٨٢، ١/ ٢٩١].
الله أكبر، لم تقتصر المرأة المؤمنة المحبَّة للرسول الله صلى الله عليه وسلم على امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدمتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة لله عز وجل.
سابعاً: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المؤمنات الأول، لما أنزل الله تعالى: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» [النور: ٣١]، قمن إلى مرطهن فشققنها ثم اختمرن بها». [البخاري: ٤٧٥٨/ ٤٨٩/ ٨]. هكذا استجابة المسلمات لأمر الله تعالى.
ثامنا: التصاق النساء بالجدار تنفيذاً لأمره صلى الله عليه وسلم بالمشي في حافات الطريق:
عن أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأخرن فإنه ليس لكنَّ أن تحققن الطريق». يعني: تركبن حقها وهو وسطها. «عليكنّ بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها. [صحيح سنن أبي داود رقم (٤٣٩٢، ٣/ ٩٨٩)].
تاسعا: عفو الصديق رضي الله عنه عند مسطح بن أثاثة:
كان فيمن خاض في حادثة الإفك مسطح بن إثاثة، وكانت أمه ابنة خالة الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح رجلاً فقيرًا، وكان الصديق ينفق عليه، فلما قال ما قال في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ونزلت الآيات ببراءتها، قال أبو بكر: «والله لا أعود أنفق على مسطح أبدًا بعدما قال ما قال». فنزل القرآن: «وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [النور: ٢٢]. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فتلاها عليه، فوالله ما هو أن سمعها حتى قال: «بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، والله لأردن على مسطح ما كنت قطعته عنه». [متفق عليه].
عاشراً: سرعة استجابة أبي طلحة رضي الله عنه لأمر الله تعالى:
عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فقال أنس: فلما نزلت هذه الآية: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» [آل عمران: ٩٢]. جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل إليك: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» [آل عمران: ٩٢]، وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [متفق عليه: البخاري: ١٤٦١/ ٣٢٥/ ٣، ومسلم: ٩٩٨/ ٦٩٣/ ٢].
فانظروا رحمكم الله: كيف استجاب أبو طلحة رضي الله عنه لأمر الله بالإنفاق، وبادر إلى الخروج من أحب أمواله إليه صدقة لله تعالى، ثمَّ لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في أقاربه لم يسعه أيضا إلا السمع والطاعة، فقام فقسمها في أقاربه وبني عمه.
والسؤال كما كان الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم؟ أليس في الإمكان أن يعود المسلمون اليوم عودة حميدة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؟ هل يعود للمسلمين عزُّهم ومجدهم؟
والجواب: نعم، إذا رجعوا إلى دينهم، وتمسكوا بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، كما كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، كانوا يعظّمون شعائر الله، ويعظّمون حرمات الله، وكانوا يعلمون أنه يجب عليهم سرعة التنفيذ لكل ما يأتيهم من عند الله، فإن أتاهم أمر فعلوه، وإن أتاهم نهي انتهوا؛ لأنهم علموا أنهم ليس لهم الخيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمرًا، هكذا كان منهجهم في التلقي.
وفقني الله وإياكم للتأسي بهم.

وقفات شرعية مع الاستفتاء على الدستور

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

مع اقتراب الاستفتاء على الدستور المصري الجديد، وانقسام الشارع المصري إزاءه إلى فريقين؛ مؤيد من القوى الإسلامية، ومعارض من القوى المدنية، ظهرت بعض الدعوات من بعض علمائنا الأجلاء تدعو الناس إلى رفض الدستور الماثل جملة وتفصيلاً؛ لاحتوائه على ظلمات بعضها فوق بعض، وأن من أيده بنعم فهو آثم، ولنا مع هذه الدعوات الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: هل الإقرار والقبول يعني الموافقة؟

بمعنى هل قبول الدستور الجديد وإقراره من الناخبين بنعم يعني الموافقة على كل ما جاء به، ما يتوافق، وما يتعارض مع الشريعة؟ الإجابة قطعًا ستكون بلا؛ لأن المرء قد يقر بأشياء وهو لا يوافق عليها، والدليل على ذلك من القرآن والسنة:

فمن القرآن: قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) [البقرة: ١٤]، فإقرارهم بالإيمان باللسان لا يدل على موافقتهم له بقلوبهم، وقال تعالى أيضا: (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النحل:١٠٦] فإقرارهم بالكفر باللسان لا يعني موافقتهم له بقلوبهم.

ومن السنة ما رواه البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: (لما جاء سهيل بن عمرو: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد سهل لكم من أمركم). قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم). قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب باسمك اللهم). ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله). فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله).

الوقفة الثانية: إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما:

استنبط العلماء تلك القاعدة العظيمة من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومعناها أنه إذا كانت هناك مفسدتان؛ أحدهما أعظم من الأخرى، ولا يمكن للمرء أن يتلافهما معًا، فعلى المرء أن يرتكب أخفهما ويدفع الأخرى عنه، وما فعله الخضر مع موسى عليه السلام، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، دليل على ذلك. وبإنزال ذلك على مسألة الاستفتاء يتضح الآتي:

أولا: هناك مفسدة صغرى متمثلة في تمرير دستور يحتوي على بعض المخالفات الشرعية لا تتجاوز أصابع اليدين، ولكن يمكن تلافي تلك المفسدة عن طريق تعديلها بعد ذلك بعد تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية، فإن تطبيق الشريعة الإسلامية كلها بما فيها الحدود، يحتاج إلى الأمور الآتية:

١- إزالة الشبهات التي رسَّخها الإعلام في أذهان الناس من عدم صلاحية الشريعة للتطبيق، وبيان محاسنها ووجوبها، حتى لا ينتكسوا حال تطبيقها، كما حدث من كثير من الناس بأفغانستان حينما حملت طالبان الناس عليها حملاً دون تهيئة الناس لقبولها، ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها

أنه (جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك. قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لِمَ؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: «بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر». وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السورة) رواه البخاري.

٢- تقنين الشريعة في صورة نصوص قانونية: وذلك باتباع مذهب معين يلتزم به الجميع، كما حدث مع تقنين الأحوال الشخصية، والميراث، والوصية والوقف؛ حيث اعتمد القانون الراجح من مذهب الإمام أبي حنيفة، مع مخالفة المذهب في بعض الأمور التي ارتآها تحقق مصلحة الناس مثل الطلاق المعلق، فقد أخذ بقول شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد نصت المادة ٢ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠م بأحكام النفقة وبعض مسائل الأحوال الشخصية المعدل بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م على أن (لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير)، وذلك حتى يستطيع القاضي أن يقضي، فلو لم تقنن الشريعة فكيف يقضي القاضي مثلاً في حد السرقة، وبأي الأقوال يأخذ؟! فهناك اختلاف بين الفقهاء في مسألة الحرز، حد القطع، قيمة المسروق...إلخ، وسيكون هناك تضارب في الأحكام، فهذا يقيم الحد وآخر لا يقيمه، وهذا يقطع اليد من مفصل الرسغ، وآخر يقطع من مفصل المرفق، وثالث يقطع من مفصل الكتف، فلا بد إذًا من تقنين الشريعة الإسلامية في صورة نصوص قانونية يهتدي بها القاضي عند تطبيقها.

٣- إعداد القضاة الشرعيين: وذلك لتطبيق الشريعة؛ حيث يقع على عاتقهم تطبيق النصوص الشرعية على الوقائع المطروحة أمامهم، والتحقق من توافر الشروط، وانتفاء الموانع اللازمة لتطبيق الحد؛ حيث إن الدراسة بكليات الحقوق لا تؤهل الدارس لتولي القضاء الشرعي، وكذا الحال بالنسبة لعدد كبير من خريجي كليات الشريعة والقانون، وهذا الإعداد يحتاج إلى إنشاء كليات للقضاء لتخريج قضاة شرعيين، وإنشاء أكاديمية قضائية تقوم بإعادة تدريب القضاة الحاليين على تطبيق النصوص الشرعية، وهذه المسألة تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، وتمشي بالتوازي مع البندين السابقين.

٤- إصلاح المنظومة الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمع: فلا يمكن مثلاً أن يطبَّق حد السرقة على أناس لا يجدون حدّ الكفاف، فيبحثون عما يسد رمقهم، فلا يجدونه، ويعيشون في الشوارع يتوسدون الأرصفة، ويلتحفون بالسماء!!! مع العلم بأن هذا لا يُعد تعطيلاً لتطبيق الحد؛ إذ إنه واجب التطبيق على من توافرت في حقه شروطه، وانتفت موانعه.

وجدير بالذكر أن إصلاح تلك المنظومة، سيؤدي إلى اطمئنان النفوس، والإقبال على شرع الله تعليمًا وتطبيقًا، وذلك لأن النفوس إذا حازت رزقها اطمأنت، فإذا اطمأنت زالت المشاغل، وإذا زالت المشاغل، وجد الخشوع اللازم لأداء الطاعات وليس أدل على ذلك مما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وضع عشاء أحدكم، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه. وكان ابن عمر: يوضع له الطعام، وتقام الصلاة، فلا يأتيها حتى يفرغ، وإنه ليسمع قراءة الإمام) [رواه البخاري].

قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين: (يعني إذا قدم الطعام للإنسان وهو يشتهيه فإنه لا يصلي حتى يقضي حاجته منه، حتى ولو سمع الناس يصلون في المسجد فله أن يبقى ويأكل حتى يشبع، فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يسمع قراءة الإمام يصلي وهو يتعشى ولا يقوم حتى يفرغ؛ وذلك لأن الإنسان إذا دخل في الصلاة وهو مشغول القلب فإنه لا يطمئن في صلاته، ولا يخشع فيها، يكون قلبه عند طعامه، والإنسان ينبغي له أن يصلي وقد فرغ من كل شيء: (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب)، ولكنه لا ينبغي أن يجعل ذلك عادة له بحيث لا يقدم عشاءه أو غداءه إلا عند إقامة الصلاة) اهـ.

وهذا الذي ذكرناه يتم بصورة تدريجية، بمعنى أننا نقوم بتطبيق ما تمس الحاجة إليه الآن، ويوقع الناس في حرج شديد، مثل النصوص المتعلقة بالنفقة، وحضانة الصغير، وغيرهما ثم تكون المرحلة الأخيرة تطبيق الحدود.

فإذا انتهت الأحزاب الإسلامية من كل ما سبق، فما الذي يمنعها من تعديل النصوص المخالفة للشريعة بالدستور المصري ولاسيما وقد نص الدستور نفسه على جواز تعديله في نص المادتين

٢١٧ و ٢١٨ منه. بطلب يقدم من رئيس الجمهورية أو مجلس النواب، شريطة الحصول على توقيع خمس أعضاء مجلس النواب لمناقشته، وموافقة ثلثي أعضاء مجلسي النواب والشورى لطرحه للاستفتاء عليه. مع التنبيه بأن هذه النصوص الدستورية لا تعوق تطبيق الشريعة، وإنما تخالفها دون أن تعيقها، ومثال ذلك نص المادة رقم ١٤٩، والتي أجازت لرئيس الجمهورية العفو عن العقوبة أو تخفيفها، والتي تتعارض مع عدم جواز إسقاط الحد إذا بلغ الإمام ووجوب تطبيقه، ومما يدل على تأكيد الوجوب، ما ثبت من حديث السيدة عائشة - رضي الله عنه - أنها قالت: (كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد - رضي الله عنه - فكلموه، فكلم النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة، لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل»، ثم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - خطيبًا فقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». فقطع يد المخزومية) [أخرجه البخاري] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب) [رواه أبو داود وصححه الألباني].

فإذا ما تم إقرار هذا الدستور فسيتم استكمال بناء مؤسسات الدولة، بانتخاب مجلسي النواب والشورى، والمجالس المحلية، والبدء في وضع الخطوات السابق ذكرها قيد التنفيذ عن طريق إصدار التشريعات اللازمة لها.

ثانيًا: هناك مفسدة كبرى تتمثل في عدم إقرار هذا الدستور، تتمثل في الآتي:

١- العودة إلى نقطة الصفر مرة ثانية، واختيار جمعية تأسيسية جديدة لوضع دستور جديد للبلاد، ولن ترضى القوى المدنية بسيطرة القوى الإسلامية المنتخبة، عليها كما حدث؛ لضمان عدم وضع أية نصوص تؤدي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وليس أدل على ذلك من انسحابهم من الجمعية التأسيسية اعتراضًا على نصوص هذا الدستور، وادعاء البعض أن نص المادة ٢١٩ المفسرة لمبادئ الشريعة الواردة في المادة ٢ كارثية بالرغم من سبق موافقته عليها!

وإن تعجب فعجب قول بعض المنتسبين إلى التيار الإسلامي - بعد إعلان رئيس الجمهورية عن تشكيل جمعية تأسيسية جديدة في حالة رفض الدستور، بالتوافق أو الانتخاب - بضرورة التصويت على الدستور بـ (لا) حتى يتم تشكيل جمعية تأسيسية جديدة بالانتخاب، يكون غالبيتها من الإسلاميين، حتى يتم وضع دستور جديد يخلو من المخالفات الموجودة في الدستور الحالي، وهذا القول مردود عليه من وجهين:

الأول: أن المعارضين لن يرضوا بتشكيل الجمعية الجديدة بالانتخاب، وذلك لعلمهم بأن الانتخابات لن تكون في صالحهم، وستكون في صالح التيار الإسلامي.

الثاني: أنهم لو قبلوا بالانتخابات تحت ضغط عدم التوافق، فسيتم التحايل عليها، وذلك عن طريق اشتراط تشكيل قوائم مئوية (أي مكونة من ١٠٠ شخص) مختلطة من التيارين المدني والإسلامي تكون الغلبة فيها لهم أو مناصفة بينهم، ثم تطرح تلك القوائم للاستفتاء عليها فلا يملك الإسلاميون إلا قبولها بحالتها أو رفضها بحالتها، ولن تتم الموافقة على طرح قوائم مئوية لكل تيار لعلمهم باكتساح قائمة التيار الإسلامي للاستفتاء، مما يعني تشكيل جمعية تأسيسية من الإسلاميين فقط، وهو ما لا يقبلونه. ومن ثم فهذا الطرح الذي طرحه بعض الإسلاميين غير سديد، ويتعين عليهم العدول عنه، والتصويت على الدستور بـ (نعم).

٢- إمكانية حذف نص المادة ٢٢٦ من الدستور، والتي تؤكد على انتهاء مدة الرئيس الحالي بعد انتهاء أربع سنوات من تاريخ تسلمه مهام منصبه، ووضع مادة جديدة بالدستور- المزمع وضعه - تنهي مدته بمجرد العمل بهذا الدستور، وإجراء انتخابات رئاسية جديدة، مما يعني استبعاد الرئيس المنتمي للتيار الإسلامي.

٣- إمكانية وضع نصوص تحل الأحزاب الإسلامية بدعوى قيامها على أساس ديني، مما يفتح الطريق لاستبعادها من دخول الانتخابات البرلمانية القادمة.

٤- إمكانية إصدار المحكمة الدستورية العليا لأحكام حل مجلس الشورى، والذي سيئول إليه سلطة التشريع من رئيس الجمهورية لحين انتخاب مجلس النواب الجديد. ووقف تنفيذ الإعلان الدستوري الذي أصدره رئيس الجمهورية بتاريخ ٢٠١٢/٨/١٢م مع ما يترتب على ذلك من بطلان القرارات المترتبة عليه.

٥- إمكانية عودة التضييق على التيارات الإسلامية أمنيًا، بل والزج بهم في السجون والمعتقلات، (وهو ما صرح به الهارب إلى الإمارات أكثر من مرة، بل وتطاول على رئيس الجمهورية بقوله: أننا أخطأنا حينما تركنا مسجوننا يحكم مصر، وكان حبس الشرفاء بالباطل عار يستوجب عدم صلاحية صاحبه لشغل ذلك المنصب، وقد تناسى قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) [يوسف ١٠٠] ثم أعقبها بقوله (رب قد آتيتني من الملك) [يوسف ١٠١]، وقد تناسى أن الغرب قد أشاد بتولية نيلسون مانديلا رئاسة جنوب إفريقيا بعد خروجه من السجن) مع تكثيف الحرب الإعلامية ضدهم، لمنع التعاطف الشعبي معهم لوأد أي محاولة لعودتهم مجددًا إلى البرلمان.

ومن ثم فإن إقرار الدستور الحالي بالرغم من وجود بعض النصوص المخالفة للشريعة هو من قبيل دفع المفسدة الكبرى بالصغرى. وفي حالة الإصرار على رفض الدستور الحالي بدعوى إمكانية وضع آخر أفضل منه، (وهذا لن يتم في الوقت الحالي؛ إذ إن القادم في حالة عدم إقراره سيكون أسوأ من الحالي)، سنكون استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، والخيرية هنا بالمقارنة بالأدنى.

الوقفة الثالثة: السبيل إلى التغيير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فإذا كانت ثورة ٢٥ يناير قد أزالت الرءوس، فإنها لم تزل ما في النفوس، وإزالة ما في النفوس يتغير بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتعبيد الناس إلى خالقهم سبحانه وتعالى، ومن سبل التغيير الآن الدخول إلى البرلمان؛ إذ إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، فإذا كان الإنكار على الإخوان في دخولهم البرلمان في السابق راجعًا إلى استحالة التغيير؛ لأن تشريع القوانين يحتاج إلى أغلبية معينة، لم تكن متوفرة لهم في العهد البائد؛ إذ إن النظام السابق لم يكن ليسمح لأي فصيل سياسي أيًا ما كان انتماؤه أن يحصل على النسبة التي تعوقه عن إصدار التشريعات التي يرى أنها تحقق مصلحته، فضلاً عن حصوله على الأغلبية، ومن ثم فلا يجوز لهم التواجد به لعدم القدرة على إصدار تشريعات تتفق مع الشريعة، أو منع التي لا تتفق معها، قال تعالى: (﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾) [النساء: ١٤٠].

أما وإن الحال قد تغير بسقوط النظام البائد، وتمكن الإسلاميون بفضل الله من الاستحواذ على الأغلبية التي تتيح لهم تغيير القوانين المعمول بها، والتي تتعارض مع الشرع، والحيلولة دون صدور أي تشريعات جديدة تخالف الشرع، فقد أصبح الدخول إلى البرلمان جائزًا؛ وذلك لأن رفع التشريعات التي تخالف الشرع وتسبب عنتًا للناس لن يأتي بالدعوة على المدى القصير، ولن يرفع بمراتب الإنكار الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان) [رواه مسلم] وإنما سيُرفع بتشريع آخر، ومثال ذلك أن كثيرًا من المصريين يعانون أشد المعاناة من القانون الذي يجرّم زواج الفتاة أقل من ١٨ سنة ويجرّم ختان الإناث، ويعاقب على ذلك بالحبس، مما حدا بكثير من المصريين إلى التحايل عليه بتزويج فتياتهم عُرفيًا مع ما يستتبع ذلك من مآس تظهر في حالة إنجابها ووفاة الزوج قبل بلوغ ١٨ سنة، وكذا التحايل على تجريم الختان بإجرائه في الخفاء. فرفع هذين القانونين لن يتم بالطعن عليهما بعدم الدستورية، لسبق موافقة بعض علماء الأزهر على ذلك بادعائه بأن الختان عادة فرعونية، وجواز رفع سن الزواج، وإنما سيُرفع بتشريع آخر جديد يصدر من البرلمان، ولن يصدر هذا التشريع إذا تمت إزاحة الإسلاميين عنه.

الوقفة الرابعة: ضرورة اتحاد كافة فصائل التيار الإسلامي:

أظهرت الأحداث المتلاحقة بعد الثورة، وتحالف جميع التيارات المدنية، العلمانية، والليبرالية، واليسارية، والشيعية، وغيرهم تحت لواء واحد لمحاربة التيارات الإسلامية، ومحاولة إبعادها عن الساحة السياسية، ضرورة اتحاد التيارات الإسلامية، لمواجهة هذه الهجمة الشرسة، وضرورة الرجوع إلى أهل الذكر في المسائل القانونية والسياسية قبل الإفتاء في أي مسألة متعلقة بهذه الأمور؛ إذ إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يستقل عالم ما بالفتوى في هذه المسائل، والتي تتوقف عليها هوية الأمة، وضرورة توعية الأمة بما يُحاك لها، والله أسأل أن يُبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا يعز فيه أهل طاعته، ويهدي فيه أهل معصيته. والحمد لله رب العالمين.